

الشيعة و التشيع

إطلالة موجزة وجامعة حول الأفكار
والعقائد والعلاقات الإنسانية والسياسية

المستشار الدكتور
فتحي السيد لاشين



الشيعة والتشيع

إطلالة موجزة وجامعة حول الأفكار والعقائد والعلاقات الإنسانية والسياسية

المستشار الدكتور

فتحي السيد لاشين



الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٨٢٧٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧].

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ». وفي رواية: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

إنَّ فكرة التشيع والشيعة ذات أهمية خاصة وخطيرة؛ لأنها تنطوي على آراء وأفكار تمس صميم العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولما لها من بريق خاص لتعلقها بفريق من آل بيت النبي ﷺ، بما لهم من تقدير عاطفي وحب شديد من جماهير المسلمين قاطبةً، وذلك لمكانتهم من النبي ﷺ، ولما ثبت عنه ﷺ، وفي آيات القرآن الكريم من الحث على حبهم وإعزازهم والنهي عن التعريض بهم أو إيذائهم بأية وسيلة كانت.

وقد التهبت تلك العواطف وتأججت المشاعر نتيجة لما تعرَّض له علي ابن أبي طالب وبنوه من إيذاء ومهانة تجاوزت الحدود المعتادة إلى درجة بالغة الإسفاف من بعض سفهاء بني أمية.

وزاد الأمر خطورة أن تلك العواطف المشبوبة والمشاعر الفياضة لآل البيت في نفوس المسلمين أصبحت ستارًا يتخفى تحتها كل حاقد على الإسلام ساعٍ للكيد له بالباطل من أتباع الملل السابقة والفلسفات القديمة ممن أسلموا حديثًا في أطراف البلاد الإسلامية والأقطار المفتوحة ولم تتشرب نفوسهم ولا عقولهم بالإسلام الصحيح ولم يترسخ في قلوبهم مبادئ وقيم القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة.

وقد ازداد الخطر في العصر الحديث بدرجة غير مسبوقة بنجاح إحدى فرق الشيعة الأكثر عددًا وانتشارًا وهي الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، في إقامة دولة لها في إيران، وهي دولة أخذت مكانتها وجدارتها في المحيط العربي والإسلامي والدولي، وتقوم بجهد دءوب وجاد في مساندة الفكرة الشيعية على مستوى العالم بالتأييد والدعم المادي والمعنوي والسياسي، فضلاً عن محاولاتها تنمية نفوذها بين دول العالم العربي والإسلامي.

وفي المقابل لا توجد في سائر المجتمعات السنية على امتداد العالم بأسره دولة تعتنق الفكرة الإسلامية السنية القادرة على التعامل مع مجتمعها الداخلي والمجتمع الدولي، على مستوى العصر الحديث، من منطلق الإسلام الصحيح، والتي تدعم الفكرة الإسلامية الوسطية المعتدلة بكلِّ وسائل الدعم والتأييد، بل يحكم هذه المجتمعات جميعها إما نظم علمانية مستبدة عميلة للغرب

المسيحي المتحالف مع الصهيونية، وهي نظم تخشى الإسلام الصحيح وتحاربه وتعمل على إقصائه تمامًا عن كل مناحي الحياة، وإما نظم متخلفة جامدة سياسيًا واجتماعيًا وتستخدم الإسلام لتبرير استبداد الحاكم وطغيانه وفساده، وكلا النظامين يقدّم أسوأ صورة للإسلام.

وإلى جانب ذلك فلا تزال الفكرة الشيعية مجهولة لدى الكثير من المثقفين بل والمتدينين لندرة المجهودات العلمية والدراسية التي تتبنى تحليلاً وتمحيصًا موضوعيًا وقويًا لأفكار ومعتقدات الشيعة دون افتعال أو تزيد وبكل الحكمة والموعظة الحسنة، فكان لزامًا إلقاء الضوء على مناهج وأفكار ومعتقدات الفرق الشيعية كافة وخاصة الإمامية الاثني عشرية.

وسيكون منهجنا في البحث هو التسجيل الصادق الأمين لتلك الأفكار والمعتقدات كما وردت في كتبهم المعتمدة دون تهويل أو تهوين، والحكم عليها بمعيار حاسم ووحيد هو معيار الحقّ والباطل والخطأ والصواب، والتفريق بين الحكم على المعتقدات ذاتها والحكم على أشخاص الشيعة أنفسهم كجماعة إسلامية تعلن الانتساب للإسلام والالتزام بأركانه وأصوله الأساسية، فخلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، ويجب علينا شرعًا أن نأخذ بظاهر أقوالهم وندع باطنهم وسرائرهم إلى الله يحاسبهم عليها يوم الدين.

وأملنا في الله أن تكون هذه الرسالة لبنة متواضعة في هذا المجال، وأن تكون تحصينًا للأفراد من الخلط بين الانبهار بمواقف إيران كدولة وبين التقييم الصحيح للعقيدة الشيعية من الناحية الشرعية، كما تكون بلاغًا وتبيانًا لكل ذي بصر وبصيرة للعمل على قيام دولة تعتنق الفكرة الإسلامية السنية الوسطية المعتدلة، والعمل على دعم هذه الفكرة وتعميقها ونشرها بين العالمين، وهي الحل الأمثل والوحيد للتصدي للفكر الشيعي وإيقاف زحفه بدلاً من الشجب والتنديد بمحاولات تمدد نفوذ الفكر الشيعي ودولة إيران دون تقديم حل عملي ذي جدوى.

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المستشار
د. فتحي السيد لاشين
العجوزة في ٢٠٠٩/٣/١م

الباب الأول

فرق الشيعة وأهم أفكارها وعقائدها



المبحث الأول

نشأة الفكرة الشيعية ومراحل تطورها

١ - المدلول اللغوي لمعنى الشيعة

الشيعة في أصلها اللغوي معناها القوم، أو الأنصار والأتباع، أو الأمثال والنظائر، يقال: شيعة الرجل بمعنى قومه وعشيرته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاستَغَاثَهُ الذي مِن شِيعَتِهِ﴾ [القصص: ١٥] أي: قومه، ويأتي بمعنى الأتباع الموافقون في الرأي والمنهج، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِن شِيعَتِهِ لَإِبراهيم﴾ [الصافات: ٨٣]، كما يأتي بمعنى الأمثال والنظائر كقوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشيَاعِهِم مِن قَبل﴾ [سبأ: ٥٤]، أي: أمثالهم من الأمم السابقة.. فالتشيع معناه المتابعة والمناصرة وليس المخالفة والمنابذة.

والمعنى في العرف العملي يطلق لفظ الشيعة على كلٍّ من يزعم مشايعة علي بن أبي طالب وبنيه ﷺ، ويدخل في هذا المدلول لدى عامة المثقفين جميع طوائف وفرق هذه الجماعة أيا كانت عقيدتهم ولو كانوا يخالفون فكر وعقيدة عليٍّ في نظرته لنفسه ولصحابة الرسول ﷺ وإقراره بخلافة الشيخين أبي بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما- فكيف يكونون أنصاره وشيعته وهم يخالفونه وينابذونه في الرأي والفكر والعقيدة على ما سنوضحه لاحقًا؟!

٢ - تطورات الفكرة الشيعية

١- بدأ التشيع فكرة بسيطة لدى بعض الصحابة المحيطين بـ«علي بن أبي طالب» ﷺ جميعًا، وفي أواخر خلافة عثمان بن عفان ﷺ ارتأوا أن عليًّا

كان أحق بالخلافة وأقدر من عثمان مع التسليم بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر وسبقهما، وصواب اختيارهما للخلافة وهو رأي لا غبار عليه شرعًا.

٢- وبمرور الزمن واشتعال العواطف بعد الحرب بين عليٍّ ومعاوية ومقتل عليٍّ ثم مقتل ابنه الحسين والتنكيل الشديد الذي أنزله يزيد بن معاوية بآل عليٍّ من بيت النبوة، توسعت الفكرة بتفضيل عليٍّ على سائر الصحابة -رضوان الله عليهم- عدا الشيخين أبي بكر وعمر، وهو رأي اجتهادي يحتمل الخطأ والصواب، ولكنه لا يمس شيئًا من عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

٣- ثم تطورت الفكرة تطورًا خطيرًا وانحرافيًّا في أفكارها ومعتقداتها بظهور عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أخذ ينشر ضلالاته سرًّا وجهرًا في العراق أساسًا؛ حيث ولد ونشأ في الحيرة وفي غيرها بمصر والشام وذلك دون دليل شرعي واضح، وأغلب هذه الأفكار في أعدل تصوراته يصادم نصوصًا قطعيةً في الكتاب والسُّنة النبوية وأفعال الرسول ﷺ وأحوال صحابته الأكرمين بما فيهم علي وبنوه، وشاب بعضها الآخر غلو شديد وصل إلى حد الكفر الصريح والعياذ بالله.

وكانت أفكار عبد الله بن سبأ أساس فكر الغلاة والمتطرفين الشيعيين على اختلاف ألوانهم، وقد تعددت الفرق التي حملت هذا الفكر واختلفت مذاهبها واعتقاداتها، ورغم ذلك فقد بقيت الفكرة الشيعية السليمة في بداية ظهورها باقية حتى الآن لدى فرقة الزيدية وهي التي تمثل شيعة عليٍّ وأنصاره بحق.

وخلاصة ذلك، فإن التشيع قسمان:

القسم الأول: يتفق مع عقائد وأفكار عليٍّ وبنيه وأهل السُّنة والجماعة، وهم الذين يقرون بإمامة الشيخين ولا يكفرون الصحابة ولا يقولون بعصمة الأئمة ولا بتحريف القرآن، وهؤلاء هم أتباع وأشياع عليٍّ وبنيه على الحقيقة، ويمثلهم الآن فرقة الزيدية، ومقرهم الرئيسي باليمن، ومن أجل علمائهم بالحديث الإمام الشوكاني ومحمد بن إسماعيل الصنعاني وشهرته الأمير الصنعاني.

القسم الثاني: الذين يخالفون عقائد وأفكار علي وبنيه وأهل السُّنة والجماعة، وهؤلاء منهم المعتدلون الذين قد يكون في أقوالهم ما يخالف صريح القرآن وصحيح السُّنة، ولكنهم لم يرتكبوا ما يمس تنزيه الله ﷻ ولا وحدانيته ولا رسالة الرسول ﷺ، ومنهم الغلاة المتطرفون الذين ارتكبوا كفرًا صريحًا قاطعًا لا يحتمل التأويل لمساسه بوحدانية الله ﷻ وبرسالة النبي ﷺ ولمخالفته ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومنهم ما بين هؤلاء وأولئك فخلطوا إيمانًا بتأويلات فاسدة وهؤلاء أمرهم إلى الله، يحاسبهم يوم الدين.

ومن الجدير بالذكر أن معيار الاعتدال والغلو هو الغلو في شخصية عليٍّ والأئمة من بعده بما يمس تنزيه المولى ﷻ أو رسالة الرسول ﷺ مما يعد كفرًا صريحًا لا يحتمل أي تأويل أو تبرير.

ونتناول فرق الشيعة جميعًا بإيجاز فيما يلي.

المبحث الثاني

الزيدية

أشرنا فيما سبق إلى أن فكرة التشيع لعلي بن أبي طالب ﷺ بدأت بمجموعة من الصحابة المحيطين به ومؤداها أنهم يرون تقديمه على عثمان ابن عفان ﷺ، وهؤلاء كانوا يعدون على أصابع اليد، فمن قائل أنهم ثلاثة أو أربعة، ومن قائل أنهم يزيدون قليلاً، وسيأتي ذكرهم فيما بعد.

وبناءً على اشتعال العواصف نحو عليٍّ وبنيه نتيجة المظالم والمآسي التي حلت بهم على يد الأمويين، تطورت الفكرة إلى اعتبار عليٍّ أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ عدا أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما؛ لأن عليًّا رضي بإمامتهما وبايعهما وآكلهما وكان مستشارهما الناصح الأمين.

وعلى هذا التطور الأخير نشأت فرقة الزيدية، وهم أتباع الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ﷺ، وكان عالمًا فقيهًا ومتكلمًا وله في الفقه كتاب المجموع، وكان مقيمًا بالكوفة ورفض القول بإنكار إمامة أبي بكر وعمر، فانفض عنه من ينكر إمامتهما، وكان ذلك في سنة ١٢٠هـ، وسموا بـ«الرافضة» لرفضهم إمامتهما، ومن هذا التاريخ تميزت الشيعة الزيدية عن الرافضة، وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد «فرقة الاثني عشرية».

ومن أهم علماء الزيدية الإمامان الشوكاني والأمير الصنعاني، وهما من المحدثين الثقاة لدى أهل السُّنة، وأكبر تجمع لهم الآن باليمن.

أفكار وعقائد الزيدية

الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السُّنة والجماعة وأكثرها اعتدالاً، وتخلص أفكارهم فيما يلي:

١- يعتقدون بفكرة الأئمة من آل بيت عليٍّ، غير أنها لم ترفعهم إلى مرتبة النبوة ولا قريبًا منها، بل هُمْ بشر كسائر الناس، ولكنهم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ.

٢- إنَّ الإمام الذي أوصى به النبي ﷺ لم يعينه بالاسم وبالشخص، وإنما عينه بالوصف، وهذه الأوصاف تتحقق أكمل ما تكون في عليٍّ والأئمة بعده بشرط أن يكون الإمام من نسل فاطمة -رضي الله عنها.

٣- جواز إمامة المفضول، وبناءً عليه أقروا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، ولم يكفروا أحدًا من الصحابة، وتوجد قلة منهم من المتأخرين ترفض إمامة الشيخين، فيصيرون من الروافض وليسوا من الزيدية.

٤- جواز إمامة إمامين في إقليمين مختلفين، ما دام كل منهما متحليًا بالأوصاف التي ذكروها، وكان الاختيار حرًّا من أهل الحل والعقد.

٥- إنَّ مرتكب الكبيرة مخلد في النار ما لم يتب توبةً نصوحًا، وهم في ذلك يتفقون مع المعتزلة والخوارج.

المبحث الثالث

فـرق المغالاة

فرق المغالاة هي الفرق التي خرجت عـن الإسلام خروجًا واضـحًا، واعتنقت آراء تعد كفرًا صريحًا لا يحتمل لبسًا ولا تأويلاً، وأول هذه الفرق ظهورًا «السبئية» و«الكيسانية»، ثم الفرق التي خرجـت مـن عباءة الشيعة الإمامية الاثني عشرية والفرقة «الإسماعيلية»، وهي الفرق التي تقـول بـأن عليًّا إله، أو بأن الله قد حل في الأئمة، وكـذلك الـذين يخلعـون عـلى الأئمـة بعض صفات الرسل، بل وبعض صفات الله ﷻ، تعالى الله عن ذلك علـوًا كبيرًا.

ونعرض لهذه الفرق بشيء من البيان فيما يلي:

١- السبئية

هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي مـن أهـل الحيرة، أظهـروا الإسـلام كذبًا للكيد له، وتنكر الشيعة الاثنا عشرية أن يكون عبد الله بن سبأ منهم، ولكن أكثريتهم يعتنقون آراءه في الوصاية لعليٍّ وغلاتهم يعتنقون ضلالاته، وقـد ظهـر في أواخـر خلافـة عـثمان بـن عفـان ﷺ وأخـذ يـنشر ضـلالاته بالتـدريج متـنقلاً بـين مصر والعـراق ثـم استقر في العـراق؛ لأنـه كـان بيئـة خصبة تتجمع فيها سائر الفلسفات القديمة.

أخذ ينشر ابن سبأ أن التوراة مكتوب فيها أن لكلِّ نبي وصيًّا، فيكـون عليٌّ هو وصي النبي محمد ﷺ، وأن محمدًا ﷺ سيرجع إلى الدنيا مثل عيسى ﵇، ثم تدرَّج إلى القول بألوهية عليٍّ، ولما بلغ عليًّا هذا القول همَّ بقتله، ثم

نفاه إلى المدائن بناءً على نصيحة عبد الله بن عباس، ولما قتل علي بن أبي طالب أخذ ينشر حوله الأكاذيب، أمثال أن القتيل كان شيطانًا على صورة عليٍّ، ثم قال: لقد كذب الخوارج في ادعائهم قتل عليٍّ؛ إذ رأوا قتيلاً يشبه عليًّا فظنوه هو ولكنه قد صعد إلى السماء، كما كذبت اليهود والنصارى في ادعائهم قتل المسيح، وزعم أن الرعد صوته، وأن البرق تبسمه، وبعض أتباعه من يقول: إن الإله قد تجسَّد فيه وفي الأئمة من بعده، وبعضهم من يقول: إن الرسالة كانت لعليٍّ ولكن جبريل أخطأ ونزل على محمد، في حين أن عليًّا عند نزول الرسالة كان ما يزال طفلاً لم يبلغ الحلم وليس أهلاً للتكليف، فضلاً عن حمل الرسالة.

ونرى مما تقدَّم أن عبد الله بن سبأ هو أصل القول بالأئمة المعصومين استنادًا إلى فكرة الوصاية التي ادعى وجودها في التوراة، وهي الفكرة التي يعتنقها الشيعة بجميع فرقهم بمن فيهم الاثنا عشرية عدا الزيدية، كما أن السبئية هي أساس فكرة المغالاة في عليٍّ وفي سائر الأئمة.

٢- الكيسانية

هم أتباع المختار بن عبيد الثقفي، وقد خرج على الأمويين بالكوفة بدعوى الأخذ بثأر الحسين بن علي من قتلته، وأخذ يدعو باسم محمد بن الحنفية؛ لأنه ولي دم الحسين، ولكنه انحرف وأخذ ينشر أوهامًا وضلالات فتبرأ منه محمد بن الحنفية، ومع ذلك تبعه أناس كثيرون.

ويعتقد الكيسانية بفكرة الأئمة من آل بيت عليٍّ، وأنهم معصومون من الخطأ ورمز للعلم الإلهي، ولكنهم لا يقولون بألوهيتهم، كما يعتقدون بأن

الإمام بعد الحسن والحسين هو محمد بن الحنفية، وأنه لم يمت ولكنه حي بجبل رضوى، وقليل منهم يعتقد أنه مات وسيرجع.

ويميز الكيسانية أنهم يعتقدون بفكرة غريبة تمس تنزيه الإله -جلَّ وعلا- وهي فكرة البداء، بمعنى أن الله ﷻ يغير ما يريده تبعًا لتغير علمه، وأنه يأمر بالشيء ثم يأمر بخلافه، وسمِّي هذا القول بـ«البداء»؛ لأن المختار الثقفي كان يدعي أنه يخبر بالمستقبل، فإذا وقع بخلاف ما أخبر به قال: قد بدا لربكم، وهو بلا شك ضلال بيِّن.

وقد تأثرت الكيسانية بالفلسفة الهندية، فقالوا بتناسخ أرواح الأئمة دون غيرهم، كما قالوا بأن لكلِّ شيء ظاهرًا وباطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً، وأن كل ما في العالم من الحكم والأسرار قد حلت في عليٍّ ؑ، وأنه آثر به محمد بن الحنفية، وقد انقرضت الكيسانية ولم يعد لها وجود يذكر.

٣- الفرق الأخرى

توجد فرق أخرى كثيرة من فرق المغالاة تنسب إلى الإسماعيلية، وتعتبر نفسها منها وتعتنق أغلب أفكار ومعتقدات الإسماعيلية، وقد آثرنا الكلام عليها عند الكلام على الطائفة الإسماعيلية.

كذلك توجد فرق المغالاة منبثة في الشيعة الاثني عشرية، ويذهب رأي إلى أن أغلب هذه الفرقة من المغالين بوجه أو آخر، وأن القلة القليلة هم من المعتدلين، وسنتناول أفكار الغلاة عند الحديث عن أفكار ومعتقدات هذه الفرقة.

المبحث الرابع
الشيعة الإمامية الاثنا عشرية (الرافضة)

جميع طوائف وفرق الشيعة تؤمن بفكرة الأئمة من آل بيت عليٍّ، وقد اشتهرت طائفة الشيعة الاثني عشرية باسم «الشيعة الإمامية»؛ لأنها الأوسع انتشارًا والأقوى تنظيمًا، وسموا بـ«الاثني عشرية»؛ لأن أئمتهم اثنا عشر إمامًا بالتحديد من آل بيت عليٍّ دون غيره من آل بيت النبي ﷺ، بل دون غيرهم من آل بيت عليٍّ، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، واستدلوا على هذا العدد بتأويل خاطئ لحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود بعدة روايات عن جابر بن سمرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة**»، وفي رواية: «**كلهم من قريش**».

ومن الواضح من صريح عبارة هذا الحديث أنه لا يؤيدهم فيما يدعون؛ لأنه يتكلم عن خلفاء المسلمين وهم الذين تختارهم الأمة، ولا يتكلم عن أئمة معينين بالاسم من آل بيت عليٍّ دون غيرهم، كما لم يتول الخلافة من هؤلاء الأئمة سوى علي وابنه الحسن ولمدة قليلة، ثم إن أبا بكر وعمر وعثمان من قريش، كما جاء في الحديث وهم ينكرون خلافتهم، ويبدو أن تمسكهم بهذا العدد هو الذي أوعز إليهم بفكرة الإمام الثاني عشر المزعوم الذي يدعون أنه غاب واختفى، وأنكروا موته ليكتمل العدد إلى اثني عشر.

كما اشتهرت هذه الفرقة باسم «الرافضة» أو «الروافض»؛ لأنهم يرفضون إمامة أبي بكر وعمر، كما رفضوا إمامة زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين حينما أنكر عليهم هذه المقولة الباطلة، وهم ينكرون هذه التسمية؛ لأنها تكشف باطلهم.

ويسمون أيضًا بـ«الموسوية» نسبة إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق.

وقد اختلفت فرق الشيعة في تحديد مَن يكون إمامًا هو وبنوه بعد الحسين، ويعتقد الاثنا عشرية بأن الأئمة بعد الحسين لابنه علي زين العابدين وبنيه محمد الباقر، ثم جعفر الصادق، ثم لابنه موسى الكاظم وعقبه حتى الإمام الثاني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري الذي توفي وهو طفل، ثم ادعوا أنه اختفى في سرداب بيت أبيه قبل أن يبلغ الحلم ولم يزل مختفيًا حتى الآن، ولكنه واجب الحكم والطاعة، وقد انتقل حكمه إلى علماء المذهب الشيعي الاثني عشري، وذلك هو أساس القول بولاية الفقيه، ولكنه سيظهر آخر الزمان ويملأ الأرض عدلاً.

إلى جانب أفكار ابن سبأ، فقد تأثرت فرقة الاثني عشرية بالفلسفة الفارسية القديمة التي كانت تقدس الملك والوراثة في البيت المالك، كما تأثروا بالعقائد الأسيوية كـ«البوذية»، ويوجد أكبر تجمع لهم في العراق وإيران، كما يوجدون في أقاليم عدة في العالم الإسلامي.

أفكار وعقائد الشيعة الاثني عشرية

١ - فكرة الإمامة

تتكون فكرة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية من عدد من الأفكار والاعتقادات، نوجزها فيما يلي:

١- أن الإمامة ليست من المصالح الحياتية للأمة حتى تترك لاختيار أهل الحل والعقد، ولكنها أساس الدين، فيجب أن تتم بالتعيين من النبي ﷺ، وأن إمامة علي رضي الله عنه قد ثبتت بالنص عليه من النبي ﷺ نصًّا ظاهرًا ويقينيًّا على شخصه وليس مجرد وصفه، ويستدلون على ذلك ببعض الآثار عن النبي ﷺ، يدعون صحتها وباستنتاجات خاطئة من بعض الآيات القرآنية ومن بعض الوقائع الصحيحة التي حدثت في زمن النبي ﷺ، وسنتناول كل ذلك تفصيلاً في الباب الثاني من هذه الرسالة.

٢- كما اتفقت جميع فرق الشيعة على أن الأئمة بعد عليٍّ هُم أولاده من فاطمة (الحسن والحسين رضي الله عنهما)، وقد اختلفوا من بعد ذلك على فرق كثيرة أوصلها بعضهم إلى سبعين فرقة أشهرها وأكثرها أنصارًا فرقتا الإمامية الاثني عشرية والإسماعيلية.

٣- تقول الشيعة الاثنا عشرية: وكما أن تعيين عليٍّ كان بالوصاية من النبي ﷺ، فكذلك تعيين الأئمة من بعده حتى الإمام الثاني عشر، كانت من النبي ﷺ، وقد غالى بعضهم إلى حدِّ الزعم بأن تعيين هؤلاء الأئمة جميعًا ابتداءً من عليٍّ حتى الإمام الثاني عشر كانت من الله عز وجل، كما غالى بعضهم

بالزعم بأن منكر الأئمة كافر ومخلد في النار كإنكار سائر الأنبياء، وأن المؤمن بالإمامة مخلد في الجنة ولو كان عاصيًا وفاسقًا وفاجرًا.

٤- بناءً على فكرة الإيصاء من النبي ﷺ بتعيين الأئمة الاثني عشر، فإن للإمام سلطانًا مقدسًا مستمدًا من صاحب الوصاية، وكل ما يقوله من الشرع بمنزلة كلام النبي ﷺ، ولا يمكن أن يكون منه ما يخالف الشرع، ولهم أن يخصصوا النصوص العامة ويقيدوا النصوص المطلقة، بل وقال بعضهم: إن للأئمة تحليل الحرام وتحريم الحلال.

٥- أن النبي ﷺ استودعهم أسرار الشريعة؛ لأنه لم يبيِّنها كلها بل بيَّن فقط ما اقتضاه زمانه وترك للأوصياء أن يبيِّنوا للناس من الأسرار ما يقتضيه زمانهم، فكل كلامهم إكمال للرسالة وإتمام لها، وعلم الإمام بالشريعة علم محيط بكلِّ شيء يتصل بالشريعة، وهذه الإحاطة ثابتة بالفعل لا بالإمكان ولا بالاجتهاد، بل علم لدني ثابت.

٦- وبما أن الأئمة لهم هذه المنزلة من التشريع، فلا بدَّ أن يكونوا معصومين من الخطأ والنسيان والسهو والمعاصي، وهي عصمة ظاهرة وباطنة، وهي ثابتة له قبل أن يكون إمامًا وبعد توليه الإمامة كالأنبياء تمامًا.

٧- ويجوز عندهم أن تجري على أيدي الأئمة خوارق العادات، وتسمى أيضًا معجزات كالأنبياء تمامًا، غير أن الإمام لا يوحى إليه، وقد غالى بعضهم فزعم أنه مثل الرسول، ويوحى إليه باطنًا، وتفوق درجته سائر درجات الأنبياء.

٢- موقفهم من الصحابة الكرام

يرسم الشيعة الاثنا عشرية صورة شائهة كريهة للصحابة -رضوان الله عليهم، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأُول أبو بكر وعمر وعثمان، ووقفوا منهم موقف البغضاء والضغينة وتوجيه المطاعن والتهم، ولهم في ذلك مبالغات غير معقولة لا تتفق مع العقل الرشيد ولا مع الواقع، ووجهوا إليهم السباب والشتائم التي يترفع عنها ذوو الخلق والمروءة، واستباحوا سبهم ولعنهم في القنوت في الصلاة والدعاء عليهم.

وهذه هي آراء الأغلبية العظمى من الشيعة الاثني عشرية، عدا قلة قليلة ترى حبهم والثناء عليهم والامتناع عن مهاجمتهم، وهؤلاء لا يقولون بتحريف القرآن الكريم أيضًا، ويتهمهم الأكثرية بأنهم يقولون ذلك من قبيل التقية بزعم أنهم لم ينتقدوا من يهاجم الصحابة ولم يردوا عليهم.

ونوجز اتهاماتهم للصحابة الكرام - رضوان الله عليهم- فيما يلي:

١ - أنهم ألصقوا أنفسهم بالرسول ﷺ وبالإسلام لسنوات طويلة طمعًا في الحكومة والولاية، وكانوا يتآمرون في سبيل ذلك ويتحزبون، وما كانوا يضنون بأي حيلة لتحقيق أغراضهم، ولم يكن يهمهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن.

٢- أنهم أسقطوا من كتاب الله الآيات التي تنصُّ على خلافة عليٍّ عقب وفاة الرسول ﷺ مباشرة، وعلى إمامة الأئمة من بعده، وأنهم بذلك

فعلوا بكتاب الله ما فعله اليهود والنصارى بتحريف التوراة والإنجيل، وأن هذا العار سيبقى في حق القرآن والإسلام إلى يوم الدين.

٣- أنهم -والعياذ بالله- ارتدوا عن الإسلام فور وفاة النبي ﷺ عدا ثلاثة هم المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي، وزاد بعضهم عمار بن ياسر، كما أضاف البعض الآخر عددًا لا يتجاوز أصابع اليدين، وهم الذين كانوا يحيطون بعليٍّ ويرون تقديمه على عثمان لا غير، وشمل هذا الاتهام آل بيت النبي ﷺ من غير بيت عليٍّ، كما شمل زوجات الرسول ﷺ، وتطاولوا عليهن بأفظع الشتائم وخاصة عائشة وحفصة، وخاضوا في عرض السيدة عائشة رغم أن الله ﷻ أبرأ ساحتها من فوق سبع سموات، ورغم ما في ذلك من إساءة بالغة بالرسول الكريم نفسه.

٤- أنهم أكرهوا عليًّا ﷺ على مبايعة أبي بكر.

وسنرد على هذه المفتريات في الباب الثاني من هذه الرسالة.

٣- موقفهم من القرآن الكريم

أقوال علماء الاثني عشرية في القرآن الكريم تتسم بالغرابة والتناقض ويترتب عليها، لو صحت، إهدار حجية وقدسية القرآن الكريم، ونوجز هذه الأقوال فيما يلي:

١- قال بعضهم: إنَّ القرآن الموجود لا يخلو من تحريف وتغيير ونقص، وذكر بعضهم أمثلة لمواضع في القرآن أسقطت منها آيات بكاملها

أو حرف فيها، وكلها تتعلق بإمامة عليٍّ وأن اسم عليٍّ أسقط في كثير من المواضع، ومنها لفظ آل محمد غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس على الترتيب الصحيح.

٢- ادعى البعض أن ثلثي القرآن قد أخرج وضيع، وأن عدد آياته كان سبعين ألف آية في حين أن عدد آياته حاليًا (٦٢٣٧) آية.

٣- ادعى البعض أن القرآن هو ما جمعه علي ﷺ وهو يختلف عن القرآن الموجود حاليًا، وزعم أنه موجود لدى الإمام الغائب، قد أخذه معه حين اختفائه ولم يطلع عليه أحد وسيحضره معه حين رجعته.

٤- زعم البعض أن لديهم مصحف فاطمة، وهو ثلاثة أضعاف القرآن الموجود.

٥- يؤكد علماؤهم ومفسروهم الكبار خاصة المعاصرين منهم أن عقيدة تحريف القرآن الكريم من ضرورات مذهب الاثني عشرية ومن أهم مقاصد الإمامة، وخالف هذا الرأي قلة من المتقدمين وبعض علمائهم المعاصرين.

٦- يرون أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن عامة المسلمين لا يعلمون سوى المعاني الظاهرة، أما المعاني الباطنة فلا يعلمها سوى أئمتهم ومن يتلقون منهم.

٧- يرى أكثرهم أن القرآن ليس حجة على الناس إلا بقيِّم وأن قيِّمه ومفسره الوحيد بعد رسول الله ﷺ هو عليٌّ.

وسنقوم بالرد على هذه الآراء في الباب الثاني إنْ شاء الله.

٣- موقف الاثني عشرية من السُّنة النبوية

ترتب على تكفير الاثني عشرية للصحابة إنكارهم لكافة الأحاديث الواردة عن طريقهم، ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق أئمتهم رغم أنهم لم يعاصروا النبي ولم يبلغوا عنه، أو الأحاديث الواردة عن طريق العدد المحدود من الصحابة الذين كانوا مشايعين لعلي ومحيطين به ويفضلونه على عثمان والمشار إليهم سلفًا، وشنوا هجومًا عنيفًا على كبار رواة الحديث مثل أبي هريرة والمغيرة بن شعبة وغيرهم، فهم منكرون للسُّنة النبوية لرفضهم مرويات الصحابة -رضوان الله عليهم، ويقول بعض علمائهم: إنهم لا ينكرون السُّنة ويقولون بأن كل شيء مرده إلى الكتاب والسُّنة، ولكنهم يقصدون السُّنة المروية عن أئمتهم فقط سواء أكانت منسوبة للنبي ﷺ أو منسوبة للإمام نفسه، فالسُّنة عندهم هي كل ما يصدر عن الإمام المعصوم من قول أو فعل أو تقرير مثل السُّنة الصادرة عن النبي ﷺ وهم ليسوا رواة عن النبي ﷺ ولا فرق في كلام أئمتهم بين كونه في سن الطفولة أو سن الرجولة أو كان قبل توليته إمامًا أو بعدها.

وجميع الكتب المعتمدة عندهم مليئة بعشرات الألوف من الأحاديث الموضوعة والمختلفة والمنسوبة لأئمتهم، وقلة قليلة من علمائهم تعترف بأن

تلك الكتب بها بعض الأحاديث الموضوعة لا كلها ويجرحون بعض رواتهم.

التقية

التقية من جملة ما جاء في كتبهم المعتمدة، والتقية عندهم هي أن يظهر الشيعي من أمور الدين خلاف ما يبطن، وذلك للمخالفين له عند الخوف على النفس أو المال أو الدين وللتقية منزلة كبيرة عندهم فهي من صميم الدين، ويرون أن تسعة أعشار الدين في التقية؛ فهي بمنزلة الصلاة، وأنه لا دين لمن لا تقية له، وذلك بينما هي عند أهل السُّنة استثناء عند الضرورة القصوى استئناسًا بقوله تعالى: ﴿إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٦]، وهو مبدأ مخالف للأصل وهو الصدق في القول والعمل.

وهذا الغلو والشطط في مفهوم التقية لتحقيق عدة مقاصد هي:

١ - إخفاء خطورة أفكارهم وعقائدهم المخالفة لعقيدة وأفكار أهل السُّنة والجماعة.

٢ - سهولة إنكار ما ثبت عن عليٍّ وأبنائه وسائر أئمة آل البيت من تمسكهم بعقيدة أهل السُّنة والجماعة وإنكارهم تحريف القرآن الكريم والتعبير عن حب أصحاب رسول الله بالثناء عليهم وغير ذلك من أحكام كثيرة، والزعم بأن هذه الأقوال كانت من قبيل التقية.

٣ - سهولة الاندماج وسط أهل السُّنة والجماعة بما يمكنهم من اكتساب ثقتهم ومحاولة نشر المذهب بينهم.

المبحث الخامس

الإمامية الإسماعيلية

تعد ثاني أكبر وأشهر فرقة شيعية بعد الاثني عشرية وسموا كذلك نسبة إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق الذي يعتقدون أن الإمامة انتقلت إليه وإلى نسله من بعده، وليس لأخيه موسى الكاظم الذي يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الإمامة انتقلت إليه وإلى نسله من أبيهما الإمام جعفر الصادق.

وتسمَّى هذه الفرقة أيضًا بـ«الباطنية»؛ لأنهم يعتمدون السرية والكتمان منهجًا لهم ويستخفون بأعمالهم من الناس، ويصح عندهم أن يكون الإمام مستورًا، فهم لا يكشفون عن أئمتهم ولا آرائهم ومعتقداتهم، كما أنهم يقولون بأن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الأئمة اختصهم الله بعلم الباطن ويقومون بتأويل الكثير من ألفاظ القرآن الكريم تأويلات غريبة لا تتفق مع العقل والمنطق ولا مع دلالات اللغة العربية ولا سياق الآية وسبب نزولها.

وقد انقسمت طائفة الإسماعيلية إلى فرق وطوائف عديدة بعضها لم يخرج عن دائرة الإسلام وبعضها الأخرى خرج على حدود الإسلام، وانتحلوا نحلاً غريبةً لا تتفق مع الأحكام والأصول الإسلامية الأساسية.

ومن أهم فرقهم «الأغاخانية» نسبة إلى إمامهم أغاخان، وطائفة «البهرة» ويتمركزون في بومباي بالهند، ويميزهم أنهم يعترفون بالأركان الإسلامية الخمسة المعلومة ويزيدون ركنًا سادسًا هو الطهارات بتحريم الدخان والموسيقى والأفلام، ويحتفلون سنويًا بيوم غدير خُمٍّ[1]، والذي يدعون أن النبي ﷺ أعلن فيه الوصية بإمامة عليٍّ.

ومن هذه الفرق «الفاطميون» الذين حكموا المغرب ومصر والشام، و«القرامطة» الذين سيطروا على عدد من الأقاليم الإسلامية، و«إخوان الصفا» الذين كتبوا رسائل إخوان الصفا ولم يذكروا أسماء من كتبوها، وطائفة «الحشاشين» الذين ظهروا زمن الحروب الصليبية وحرب التتار، وكانوا وبالاً على المسلمين.

ويعد من فرق الإسماعيلية التي خرجت خروجًا صريحًا وقاطعًا عن الإسلام ويعتبرون من الغلاة المتطرفين:

١ - **الحاكمية:** وهم أتباع الحاكم بأمر الله الفاطمي، الذين أخذوا بنظرية حلول الإله في نفس الإمام تأثرًا بنظرية الإشراق الإلهي من الفلسفات القديمة، حتى إن الحاكم بأمر الله والذي حكم مصر فترة من الزمان ادعى أن الإله قد حل فيه ودعا إلى عبادته، وقد قتل على يد أحد

---

(١) غدير خُمٍّ: مكان بين مكة والمدينة به عين ماء، كان النبيُّ ﷺ قد توقف فيه أثناء عودته من حجة الوداع وخطب فيه خطبة جامعة.

أقاربه على الأرجح وزعم أتباعه أنه اختفى حيًّا وسيرجع إلى الدنيا، وسميت هذه الطائفة باسمه وقد اندثرت ولم يعد لها وجود.

٢ -**الدروز**: وهم يتواجدون في لبنان وسوريا، وهي طائفة وثيقة الصلة بالحاكمية ولكنهم يستخفون بأعمالهم واعتقاداتهم ولا توجد عنهم معلومات موثقة، والله أعلم بأحوالهم.

٣ -**النصيرية**: أتباع محمد بن نصير، ويشتهرون بالعلويين، وهم طائفة تسكن الشام، ويقال أنهم حكام سوريا الآن ويدعون الانتساب إلى الاثني عشرية، ولكنهم أقرب إلى فرق الغلاة الإسماعيلية فهم يعتقدون أن آل بيت عليٍّ أوتوا المعرفة المطلقة، وأن عليًّا لم يمت، وأنه إله أو قريب من الإله، وأنه سيرجع إلى الدنيا، وأن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وأن إمام العصر هو الذي أشرق عليه النور الإلهي بعلم أسرار الشريعة باطنها وظاهرها.

***

الباب الثاني

الآراء والمعتقدات الشيعية
في ميزان الشرع والعقل




مبحث تمهيدي

مناهج الاستدلال عند الشيعة الاثني عشرية

١ - رأينا فيما سبق أن الآراء والمعتقدات الشيعية تدور كلها حول إمامة عليٍّ وبنيه دون غيرهم من آل بيت النبي ﷺ، وحول عصمتهم من الخطأ وخصائصهم التي اختصوا بها دون المؤمنين جميعًا وسلطانهم الشرعي والديني، ويتفرع من ذلك نظرة الشيعة إلى صحابة رسول الله ﷺ وإلى القرآن الكريم والسُّنة النبوية.

ولن نتعرض لأفكار وآراء الزيدية التي يجمع أهل السُّنة على أنها لا تتضمن انحرافًا عقيديًّا ولا مخالفة لصحيح الأحكام الشرعية سوى تكفير مرتكب الكبيرة كالخوارج والمعتزلة، ولا شائبة في دخولهم في مفهوم أهل السُّنة والجماعة.

١ - وأيضًا لن نتناول فكر السبئية ومن تابعهم من الغلاة في الادعاء بألوهية علي أو أن الإله يتجسد في شخصية الإمام الحاضر أو فكرة البداء لدى الكيسانية، أو الغلاة من الاثني عشرية والإسماعيلية الذين يضفون على أئمتهم درجة الرسل والأنبياء وبعض صفات الألوهية؛ لأن ذلك كله صريح في المساس بتنزيه ووحدانية الله ﷻ، وباعتبار محمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين دون حاجة إلى مناقشة أو دليل، خاصة وأن هذه الفرق إما اندثرت ولم يعد لها وجود، وإما أن الفلول القليلة الباقية منها تستخفي بآرائها وعقائدها عن أقرب الناس إليها، ولا مكان لها بين

الجماهير، أو تنكر في ظاهر الأمر تلك الأفكار والعقائد أصلاً أخذًا بفكرة التقية.

٢- وإذن فسنخصص هذا الباب للرد والتمحيص والتفنيد لآراء ومعتقدات الشيعة الاثني عشرية من حيث مدى صحتها ومدى قوة وسلامة استدلالاتها شرعًا وعقلاً، باعتبارها الفكرة الأكثر انتشارًا ولها دولة ناهضة تعتنق أفكارها وتدعمها وتحاول بثها والدعوة لها بين أهل السُّنة وفي العالم كله، كما أن هذه الأفكار تعد هي الأساس الأكبر لأفكار سائر الفرق الأخرى.

٣- وهذه الفرقة وإن كانت بعض أفكارها شديدة التطرف وتخالف صريح الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين خاصة فيما يتعلق بصحابة الرسول ﷺ وبالقرآن الكريم والسُّنة النبوية، وبعض هذه الأفكار تحتمل الوصف بالكفر في نظر البعض، غير أنها لا تصل إلى حد الكفر الصريح الواضح مثل الغلاة خصوصًا وهي تؤمن بأركان الإسلام الخمسة، كما أنها تضم بعض المعتدلين الذين لا يصرحون علنًا بمثل هذه الأفكار، وبعض هؤلاء من يفعل ذلك من قبيل التقية ثم يصرح بحقيقة أفكاره في كتبه، وعلينا أن نأخذ بظاهر المعتدلين منهم، ونوكل أمر عقيدتهم والحكم على مدى إيمانهم الصحيح إلى الله ﷻ، وأيضًا فإن ذلك لا يمنع من التعامل معهم في المجال الدنيوي والسياسي، فهم من أهل القبلة والتوحيد والتصديق برسالة محمد ﷺ، وهم بذلك أقرب إلينا من غيرهم ونحن وهم يد واحدة على أعداء

الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى، وسنزيد هذا الأمر تفصيلاً في الفصل الثالث.

٤- وقبل أن نخوض في تفاصيل استدلالاتهم والرد عليها، يهمنا أن نوضح منهج هذه الفرقة في الاستدلال، جمعًا لشتات هذا المنهج وبيانًا للطرق والأساليب التي تقوم عليها.

وسنلمس بوضوح تكرار هذه الطرق والأساليب عند مناقشة كل فكرة وكل رأي من أفكارهم وآرائهم، ويتلخص هذا المنهج فيما يلي:

١- الاستدلال العقلي، استنادًا إلى أصولهم المسلمة لديهم ولوازمها ومقتضياتها، وبالأخص الوصية بإمامة عليٍّ وبنيه وعصمتهم، وسنرى أن تلك الأصول باطلة شرعًا، فيكون ما بني عليها باطلاً.

٢- استغلال فكرة عصمة الأئمة في وضع واختلاق أحاديث تؤيد آراءهم وينسبونها إلى الأئمة كذبًا وزورًا، وأيضًا استغلال هذه العصمة في إنكار السُّنة النبوية الصحيحة المخالفة لآرائهم بزعم أنها لم ترد عن طريق أئمتهم.

٣- استغلال فكرة أن للإسلام ظاهرًا وباطنًا، وأن أئمتهم اختصهم الله بعلم الباطن، لتأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، تأويلات بعيدة عن العقل والمنطق وعن سياق الآيات وأسباب ووقائع نزول الآيات ومناسبات قول الأحاديث، كما أنها بعيدة عن دلالات اللغة العربية ومفهوم صريح الآيات والأحاديث.

٤- وأيضًا استغلال تلك الفكرة في دس وحشر بعض الألفاظ والكلمات بين نصوص بعض الآيات والأحاديث والتي تحمل معنى ولاية عليٍّ وبنيه، رغم وضوح تنافرها وعدم انسجامها مع صياغة الآية أو الحديث، ونسبة هذه الزيادة الباطلة إلى أئمتهم والتسليم بصحتها استنادًا إلى عصمتهم.

٥- استخدام فكرة التقية في إنكار ما ورد على لسان علي بن أبي طالب وبنيه وبعض المعتدلين منهم من أقوال تؤيد أهل السُّنة وخاصة الإقرار بإمامة أبي بكر وعمر وبعدم تحريف القرآن وبفضل أصحاب الرسول ﷺ والثناء عليهم وغير ذلك والادعاء بأن تلك الأقوال من قبيل التقية.

ويقتضي البحث تقسيم هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

١ - **الفصل الأول:** في الإمامة وعصمة الأئمة وأسانيدها عندهم ومدى صحتها.

٢ - **الفصل الثاني:** في تقييم موقفهم من القرآن الكريم ومن الصحابة.

٣ - **الفصل الثالث:** في الحكم الشرعي عليهم كجماعة إسلامية وفكرة التقريب بين مذهب أهل السُّنة والشيعة الاثني عشرية.

* * *

الفصل الأول

في الإمامة وعصمة الأئمة

أساسها وأدلتهم عليها ومدى صحتها




المبحث الأول

أساس الإمامة.. فكرة الوصاية

تقوم فكرة الإمامة عمومًا على فكرة الوصاية التي ابتكرها عبد الله بن سبأ اليهودي، استمدادًا مما زعمه من وجود هذه الفكرة في التوراة، بأن لكلِّ نبيٍّ وصيًّا، وأن النبي ﷺ لم يعقب ابنًا ذكرًا، فتكون لأقرب الناس إليه وهو علي بن أبي طالب: ابن عمه وزوج ابنته فاطمة.

وقد توسع الشيعة الاثنا عشرية في مفهوم الوصاية فقالوا بأن النبي ﷺ قد أوصى فعلاً بأن يخلفه علي فور وفاته، بل وأوصى بالأئمة من بعد عليٍّ من نسله الذكور بأشخاصهم حتى الإمام الثاني عشر.

أولاً: أوجه الاستدلال على فكرة الوصية

مع استنادهم أصلاً إلى فكرة الوصاية إلا إنهم حاولوا جاهدين أن يجدوا لهذه الوصية مستندًا شرعيًّا في بعض الآيات القرآنية وبعض الآثار والوقائع التي حدثت في زمن النبي ﷺ، وقالوا: إنها تدلُّ على تلك الوصية في زعمهم، وادعوا أن الصحابة كتموا هذا الأمر وأخفوا الآيات القرآنية والأحاديث الدالة على ولاية علي بن أبي طالب، ولجأوا إلى أساليبهم في الاستدلال بتأويل الآيات والأحاديث الصحيحة تأويلاً فاسدًا وغير صحيح، وإلى اختلاق بعض الأحاديث والزيادة في بعض الآيات ونسبتها إلى أئمتهم والادعاء بوجوب الأخذ بتلك الآيات والأحاديث بدعوى عصمة أئمتهم، كما استندوا إلى دليل عقلي اجتهادي.

ونتناول تلك الأدلة جميعًا فيما يلي:

١ -نصوص الآيات القرآنية والأحاديث والوقائع النبوية:

استندوا إلى أغلب نصوص الآيات التي تدل على ولاية الله ورسوله للمؤمنين، وبالأخص قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١]، وزعموا أن الآية الأولى مخصوصة بعلي ابن أبي طالب وبنيه وليست عامة لجميع المؤمنين، وقالوا عن الآية الثانية: إنَّ (أبناءنا) هما الحسن والحسين، و(نساءنا) هي فاطمة، و(أنفسنا) نفس النبي ونفس عليٍّ، وهو تفسير لا يتفق مع صيغة الجمع في الآية؛ لأن الحسن والحسين مثنى، وفاطمة مفرد مؤنث، ونفس النبي ونفس عليٍّ مثنى، وهو نوع من التناقض لا يجوز لغةً ولا عقلاً.

٢ -الأحاديث والوقائع النبوية:

(أ) أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**»، وقال: «**أقضاكم علي**»، وقال في خطبة غدير خُمٍّ: «**أذكركم الله في أهل بيتي**» ثلاث مرات، وهو حديث صحيح رواه مسلم من حديث زيد بن الأرقم ﷺ.

(ب) وساقوا الوقائع التالية:

- أن رسول الله ﷺ لم يؤمر على علي بن أبي طالب أحدًا من الصحابة قط عندما ينفرد عن رسول الله ﷺ في غزوة أو سرية، بخلاف أبي بكر

وعمر وغيرهما من كبار الصحابة، فأحيانًا يكونان أمراء، وأحيانًا تكون الإمرة لغيرهما، كجيش أسامة.

- عندما بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا للحج، ونزلت سورة «براءة»؛ فإنه أرسل عليًّا ليتلوها على الناس، ولم يجعل ذلك لأبي بكر رغم أنه كان أمير الحج.

٣ -**الدليل العقلي الاجتهادي:**

قالوا على سبيل الاستدلال العقلي اجتهادًا: إن الإمامة ليست من المصالح العامة للمسلمين حتى يترك أمرها لاختيارهم، ولكنها أساس الدين ومن الضرورات الدينية لحفظ الشريعة وصيانتها وإتمامها، فلا بدَّ أن تكون بالتعيين من النبي ﷺ والذي أوصى بتعيين عليٍّ خليفة من بعده ثم عقبه من فاطمة -رضي الله عنها.

ثانيًا: مدى صحة هذه الاستدلالات

١ - الواضح من الآية الأولى والحديث الأول برغم أن مقطعه الأخير مطعون في صحته ونسبته إلى الرسول ﷺ لا تفيد في منطوقها ولا في دلالتها اللغوية التوصية بتولية عليٍّ خليفة على المسلمين بعد وفاته ﷺ، واستنباط ذلك منها استنباط غريب لا يستقيم عقلاً ولا منطقًا، فالواضح منهما ومن صريح عباراتهما أن المقصود منهما الموالاة ومعناها البديهي الظاهر هو النصرة والمعاونة، وليست الإمامة والخلافة، وشتان بين الأمرين، كما أن الآية الأولى عامة في جميع المؤمنين، وليس فيها ما يفيد بأي حال خصوصية عليٍّ وبنيه في أي شيء عن باقي المؤمنين، فضلاً عن تخصيصهم بخلافة

المسلمين دون غيرهم، والعام إذا أريد به الخاص فلا بدَّ له من مخصص وهو غير موجود.

٢- والآية الثانية وتدعى آية المباهلة، فالواضح من ظاهر عبارتها ومن سياق ما قبلها من الآيات أن المقصود بها هم أهل الكتاب وتأليههم لعيسى ابن مريم من جانب والمؤمنين جميعًا رجالاً ونساءً وأطفالاً من جانب آخر.

٣- والحديث الثاني يدلُّ دلالةً قاطعةً على تميز سيدنا علي في القضاء بين الناس والفصل في منازعاتهم، والقضاء بهذا المعنى الظاهر وظيفة من وظائف الدولة، وولاية خاصة بعمل معين، ولا يفيد إطلاقًا معنى خلافة المسلمين عامة.

٤- وقد اهتمت الشيعة الاثنا عشرية بحديث خطبة النبي ﷺ عند غدير خُمٍّ اهتمامًا هائلاً، وهو مكان بين مكة والمدينة، وقالوا: إنه نص صريح في خلافة عليٍّ وبنيه، وهو استنتاج يستحيل فهمه من دلالة الحديث الظاهرة، والواضح أنه حث للمسلمين على حب آل البيت وتوقيرهم والتحذير الشديد من إيذائهم بدنيًا أو معنويًا، وهو يشعر بما توقعه رسول الله ﷺ بإلهام من ربه بما سيلحق بهم من إيذاء بعد وفاته، ثم إنه لم يخصص أحدًا من آل بيته، لا عليًا وبنيه ولا غيره، فآل بيت النبي ﷺ هم نساؤه جميعًا وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، فمن أين جاءوا بالتخصيص لآل عليٍّ وحدهم، فضلاً عن التخصيص بأئمة الشيعة الاثني عشرية دون غيرهم من أئمة باقي فرق الشيعة وكلهم من آل بيت عليٍّ، بل ودون زيد بن علي زين العابدين الذين رفضوه وفارقوه، ولما رأى الشيعة تهافت وعدم

صحة استدلالهم من هذا الحديث اخترعوا عشرات بل مئات وآلاف الأحاديث الموضوعة لتأييد مزاعمهم.

٥- وإمرة عليٍّ على السرايا والبعوث، فذلك لما اشتهر عنه بالشجاعة والفروسية، وليس فيها معنى التوصية بأنه هو الخليفة بعد وفاته ﷺ دون غيره من صحابته بل من آل بيته، وتلاوته لسورة «براءة» على المسلمين في الحج رغم أن أبا بكر كان هو الأمير، فلأن عليًّا كان في المدينة مع رسول الله ﷺ حينما نزلت السورة، وهو الذي تلقاها من النبي ﷺ، فكان الأولى أن يتلوها بنفسه على المسلمين بدلاً من تبليغها لأبي بكر ثم يقوم أبو بكر بتلاوتها على الناس، ولا غضاضة البتة بأن يتولى رسول خاص مكلف من قبل ولي الأمر العام للمسلمين عملاً خاصًّا في وجود الأمير المحلي.

٦- وإذا كان الرسول ﷺ يريد استخلاف عليٍّ لإمامة المسلمين بعد وفاته ما تردد في إعلان ذلك صراحة وبعبارة قاطعة لا مجال للشك فيها، وعلى ملأ من الناس قبل وفاته حتى يعلم ذلك القاصي والداني، وليقطع كل خلاف حوله.

وإذا كان الحال كذلك بالنسبة لعليٍّ، فليست هناك أية إشارة ولو ضمنية على التوصية لما بعد عليٍّ، فمن أين جاءوا بأن النبي ﷺ أوصى بإمامة نسل عليٍّ سواء من كان موجودًا حين حياته وهما الحسن والحسين، أو من جاءوا بعدهم وبعد وفاة النبي ﷺ ولم يكن يعلم بهم ولا بمن يوجد منهم ولا بأسمائهم سوى علام الغيوب.

٧- إنَّ استخلاف الرسول ﷺ لأبي بكر بأن يؤم الناس في الصلاة عندما أعجزه المرض حين الوفاة وفي أواخر أيامه ﷺ أقطع في الدلالة على

استخلاف أبي بكر لإمامة المسلمين بعد وفاته، وأكثر دلالة عليها من سائر الحجج التي يتذرع بها الشيعة للقول بإمامة علي -رضي الله عنهما جميعًا.

الاستدلال العقلي الاجتهادي

يقول الشيعة الاثنا عشرية: إنَّ الإمامة أساس الدين ولا بدَّ منها لصيانة الشريعة وحفظها وتتميمها؛ لأن النبي ﷺ لم يبيِّن منها إلا ما اقتضاه زمانه وترك للأئمة بيان ما يقتضيه زمانهم، فمن الضروري تعيين هؤلاء الأئمة من النبي ﷺ ولا يترك أمر تعينهم لاختيار الأمة.

وهو قول داحض يخالف صريح القرآن الكريم والسُّنة النبوية، ولقد وصلوا به إلى حد يصادم العقل والمنطق معًا لأسباب عديدة منها:

١ - أن أساس الدين ليس قول بشر مهما بلغت منزلته، ولكنه الوحي المنزل من الله ﷻ إما بلفظه ومعناه وهو القرآن الكريم، وإما بمعناه على قلب الرسول محمد ﷺ لينقله إلينا بلفظه هو، وذلك هو السُّنة الصحيحة الثابتة عن الرسول ﷺ، يقول الله -تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم: ٣-٥]، وليس بعد هذين المصدرين أساس آخر، وإنما هي اجتهادات بشرية يؤخذ منها ويترك.

ولذلك كان ينزل الوحي مؤيدًا للرسول ﷺ أو مصوبًا له في أمور الدين حسب ما يقتضيه الحال، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «**إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**»[1].

ولذلك كانت طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، يقول الله -تعالى: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾ [النساء: ٨٠]، ويقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن**

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» عن عكرمة عن ابن عباس، (١/ ٧١).

رَسُولٍ إلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤]، فطاعة الرسول ﷺ أساسها الإذن من الله وموافقة وحي الله، وليست باجتهاد بشري.

٢- لم يلحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلا بعد أن اكتملت الشريعة وتمت كل أحكامها وليست في حاجة إلى مزيد إلى يوم الدين، وكمال الشريعة وتمامها هو مناط ختم النبوة حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، يقول الله -تعالى- في محكم كتابه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولو ترك الرسول ﷺ حكمًا أو أسرارًا لم يبينها، فلا يكون قد بلغ رسالة ربه، بل كتمها ولم يبيِّنها، وما يرضى الله بدين هو حجة على العالمين، ما يزال ناقصًا وفي حاجة إلى من يتمه، يقول ﷻ: ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ويقول: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، و(شيء) تعني أي أمر من أمور الدين أو الدنيا، وقوله تعالى: ﴿وتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥]، ويقول: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ [النساء:١١٤].

وما عليه إجماع المسلمين أنه ما من واقعة إلا ولها حكم في كتاب الله نصًا أو دلالة أو إشارة واستخراج ذلك الحكم يكون بالاجتهاد البشري، ويسري ذلك على جميع المسلمين أيًا كانوا ومنهم عليٌّ وبنوه وكبار الصحابة، وهذا الاجتهاد قد يخطئ وقد يصيب، فالنقص والقصور وارد على الجهد البشري في الاستنباط والاستخلاص وليس في الشريعة.

٣- لقد اختلفت طوائف الشيعة على تحديد من يكون إمامًا بعد الحسين بن عليٍّ: هل هو ابنه علي زين العابدين ونسله، أم محمد بن الحنفية ونسله؟ ثم اختلف أنصار علي زين العابدين على الأئمة بعد جعفر الصادق: هل هو ابنه موسى الكاظم ونسله، أم ابنه إسماعيل؟ وهكذا تنازعت هذه الفرق كل فترة من الزمن على من يكون إمامًا حتى وصل عددهم في رأي البعض إلى سبعين فرقة أو أكثر.

وهذا الاختلاف يهدم فكرة الوصية من أساسها؛ لأن كلا من هؤلاء ينكر إمامة الآخر ويدعيها لنفسه وكلهم من آل عليٍّ وفاطمة، والوصية في مفهومها الأصلي عندهم لا تكون إلا لمعين بشخصه، فمن هو من كل هؤلاء.

٤- والعجيب في الأمر أن فكرة الإيصاء بتعيين الأئمة جميعًا من النبي ﷺ قد بلغت حدًّا كبيرًا من الغرائب؛ إذ لو أمكن تصور الوصاية لعليٍّ وابنيه الحسن والحسين؛ لأنهم وجدوا في حياة النبي ﷺ، فكيف يمكن تصور الوصاية لمن يأتي بعد هؤلاء وهم لم يوجدوا ولم يعرفوا في حياة النبي ﷺ، كما ينفي هذا الادعاء اختلاف الشيعة في تحديد الأئمة بعد جعفر الصادق.

والأغرب منه والأعجب عقلاً ومنطقًا وشرعًا ما يقوله الشيعة الإمامية الاثنا عشرية من أن الإمام الثاني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري قد اختفى وهو في سن الرابعة أو الثامنة على أكثر التقديرات، وأنه دخل سردابًا في دار أبيه ولم يعد بعدُ، ولكن حكمه قائم وطاعته واجبة، وفي العصور المتأخرة تنبَّه علماء الشيعة إلى غرابة وجوب الحكم

والطاعة لإمام غائب، وهو طفل منذ ما يزيد على ألف عام، فقالوا: إنما ولايته انتقلت إلى علماء المذهب، وتبلورت هذه الفكرة أخيرًا في نظرية ولاية الفقيه التي يحكم بها الشيعة الاثنا عشرية الآن في إيران، وهي بالتأكيد ترهات مأخوذة من الفلسفات الفارسية القديمة ومن أقوال عبد الله بن سبأ، ولا أصل لها في شرع ولا عقل، ومازال بعض علمائهم يعارض هذه النظرية حتى الآن.

ثالثًا: موقف الشريعة من الوصية بصفة عامة

بالإضافة إلى ما تقدَّم جميعه، فإن فكرة الوصية في حد ذاتها فكرة مرفوضة وغير صحيحة شرعًا؛ لأنها تعني توريث الإمامة لمن يعينهم النبي ﷺ وهم عليٌّ وعقبه من فاطمة -رضي الله عنها- سواء بلغ سن التكليف أو لم يبلغها، صالحًا كان أو طالحًا، أهلاً للولاية أو غير أهل لها، وهي فكرة باطلة بصريح النصوص القطعية العديدة الواردة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة وفي أفعال الرسول الكريم ﷺ، فلا وراثة في الإسلام لنبوة ولا لإمامة ولا لأي ولاية من الولايات إلا لمن يكون أهلاً لها، وتوفرت فيه الصفات والخصال التي تمكنه من القيام بها وأداء حقها بأكبر قدر مستطاع، وفي ذلك يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ويقول تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٢-١١٣]، ويقول أيضًا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

وهي آيات في منتهى الصراحة والوضوح بأن ذرية الرسل والأنبياء فيهم المهتدي وفيهم الفاسق والظالم لنفسه ظلمًا مبينًا، وأن عهد الله وميثاقه وشرف النبوة والرسالة لا ينال الظالمين ولا الفاسقين ولا غير المهتدين.

ويقول الرسول ﷺ:

أ- «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**» قيل: يا رسول الله، وما إضاعتها؟ قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[(١)].

ب- وقال ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه عندما سأله الإمارة: «**يا أبا ذر، إنك لضعيف، وإنها لأمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**»[(٢)].

ج- ولقد وضع الإسلام معيارًا وميزانًا وحيدًا للتفاضل بين المسلمين وهو معيار التقوى والعمل الصالح في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله ﷻ: ﴿**وأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إلا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى**﴾ [النجم: ٣٩-٤٠]، ويقول الرسول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم، رياض الصالحين، ص(١٨٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة (١/ ٨٧٢).

(٤) أخرجه مسلم.

وهذه النصوص واضحة المفهوم قطعية الثبوت والدلالة في أنه لا توريث ولا وراثة لنبوة ولا لغيرها من الوظائف والمسئوليات، وإنما العبرة بالكفاءة والقدرات والأهلية الشخصية المناسبة للعمل الذي يتولاه الشخص ويتوفر ذلك بأمرين:

أولاً: بفضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده ويصرفه عمن يشاء.

وثانيًا: بالاكتساب عن طريق التدريب والتأهيل والإعداد الجاد.

د- كما تتعارض فكرة الوصية بتعيين أئمة بأشخاصهم يتولون الخلافة وحكم المسلمين مع مبدأ ولاية المؤمنين على أنفسهم واختيارهم لحكامهم المقررة في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

فكرة الوصية ومعاملة الرسول ﷺ لآل بيته

إنَّ فكرة الوصية بالإمامة لعليٍّ وبنيه خاصة دون سائر أهل بيته الآخرين، ودون غيرهم من المسلمين تتعارض مع ما ثبت بطريق التواتر من معاملة النبي ﷺ طوال حياته وحتى مماته لآل بيته جميعًا، وكانت تطبيقًا كاملاً لما قرَّره القرآن الكريم، فقد كان ﷺ يعاملهم كما يعامل جميع المسلمين على قدم المساواة التامة، ولم يثبت أنه في أي وقت أو في أي موقف قد ميَّز أحدًا منهم عن أقرانه من المسلمين، بل الثابت أنه كان يقدمهم عند الشدائد والمخاطر ويؤخرهم عند المنح والعطايا وتقسيم الغنائم، ففي غزوة بدر قدَّم رسول الله ﷺ كلا من حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وهم أقرب الناس وأحبهم إليه لمبارزة صناديد

قريش رغم وجود كبار المهاجرين والأنصار، وقتل عبيدة يومها، ثم قتل حمزة يوم أحد، ثم قتل جعفر بن أبي طالب يوم غزوة مؤتة.

وقد أثر عن علي بن أبي طالب قوله: «كان رسول الله ﷺ إذا احمر البأس، وأحجم الناس قدَّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر الأسنة والسيوف»[1].

ولما نزلت آيات تحريم الربا بدأ بعمه العباس بن عبد المطلب، ولما وضع عن كاهل الناس دماء الجاهلية بدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وحدث مرة أن جاءه سبي فجاءته ابنته فاطمة تسأله خادمًا يعينها على متاعب العمل في بيت عليٍّ فقال: **«والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع»**، ونصح فاطمة بأن تشغل نفسها بذكر الله فذلك خير لها[2].

ولما نزلت آية فرضية الزكاة، حرم أخذها على جميع بني هاشم إلى يوم الدين، كما قال ﷺ: **«إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»**[3]، كما نفى ﷺ بشدة في أكثر من مناسبة أن يكون لآل بيته وذوي قرباه أية مزية خاصة، ففي أحد الأيام نادى ﷺ قبيلته وأفراد آل بيته بأسمائهم قائلاً لهم: **«سلوني ما شئتم من مالي لا أغني عنكم من الله شيئًا»**، وكان مما قال: **«يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا**

---

(١) نهج البلاغة، ط. الاستقامة بالقاهرة، (٢/ ١١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، ط. بيروت، وأبو داود برواية جابر عبد الله.

(٣) أخرجه البخاري.

أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا»[١].

ومن كل ما تقدَّم يتأكد لنا أن الادعاء بوجود وصية من النبي ﷺ بإمامة عليٍّ من بعده مباشرة وكذلك التوصية بالأئمة من بعد عليٍّ معينين بالاسم، ومنحهم صفات وخصائص تميزهم عن سائر المسلمين بما فيهم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ومنهم الشيخان أبو بكر وعمر بل وسائر أهل بيت النبي ﷺ الآخرين، ويجعل هؤلاء الأئمة في منزلة أعلى من هؤلاء جميعًا بدرجات كبيرة، بل وترفعهم إلى مقام الأنبياء، هذا الادعاء افتراء على الله ورسوله ومتعارض تمامًا مع النصوص القطعية العديدة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ القولية والعملية، وهي فكرة لا أصل لها في الإسلام ومنشؤها وأساسها هو عبد الله بن سبأ اليهودي.

(١) الجامع الصحيح للبخاري، كتاب التفسير، باب: «وأنذر عشيرتك الأقربين».

المبحث الثاني
عصمة الأئمة
استدلالهم على عصمة أئمتهم ومدى صحتها شرعًا

يستند الشيعة الاثنا عشرية في القول بعصمة الأئمة إلى دليل نصي من القرآن الكريم وإلى بعض مروياتهم التي اختلقوها لتأييد آرائهم، كما يستدلون بدليل اجتهادي عقلي مستمد من فكرة الوصاية.

١- الأدلة النصية من القرآن الكريم ومن مروياتهم

أ- آيات القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿**وإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ ومِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٢٤].

- وقوله تعالى مخاطبًا نساء النبي ﷺ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ب- مروياتهم من الأحاديث:

- اختلقوا حديثًا عن النبي ﷺ نسبوه كذبًا إلى عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون**».

- ما يستدلون به من أحاديث منسوبة إلى أئمتهم يطلقون فيها على أنفسهم صفة العصمة.

٢ - الدليل العقلي الاجتهادي

يقول الشيعة الاثنا عشرية: إنَّ عصمة الأئمة مستمدة من عصمة النبي ﷺ، فهو الذي أوصى بتعيينهم وهو الذي خصهم ببيان أسرار الشريعة

التـي تظهـر مقتـضياتها في أزمـانهم، ويـستلزم ذلـك أن تكـون كـل أفعـالهم وأقوالهم تشريعًا واجب الطاعة، وأن يكون لهم علم محيط بكلِّ شيءٍ يتعلق بالـشريعة، وأن يكونـوا معـصومين مـن الخطـأ والـسهو والنـسيان صـيانةً للشريعة وحفظًا لها.

وخلاصة ذلك ان عصمة الأئمة تقوم على فكرتين اساسيتين هما:

أ- أنهم يستمدونها من النبي ﷺ؛ لأنه الذي أوصى بإمامتهم.

ب- أنها ضرورية لإكمال وإتمام الشريعة وبيان أسرارها التي لم يبيِّنها النبي ﷺ.

مدى صحة هذه الاستدلالات

١- **الآيـة الأولى:** هي الدليل الأهـم إنْ لم يكـن الوحيـد لـدى الـشيعة الاثني عشرية على عصمة الأئمة، ويقولـون: إنَّ المقـصود بالإمامـة والعهـد في الآية هي الخلافة، وأن الله نص على ألا ينالها ظالم ولو وقع في الظلم ولـو مرة واحدة فهو ظالم، فوجب أن يكون معصومًا من الظلم لنفسه أو لغيره.

وهذا الاستدلال باطل وغير صحيح من وجوه هي:

أ- الواضح من منطوق الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أن المقصود بالإمامة هي النبوة أو إمامة العلم والصلاح والاهتداء، وليس الخلافة؛ لأن إبراهيم عليه السلام كان نبيًّا، ولم يكن خليفة في أي وقت من الأوقات.

ب- ليس في نفي الظلم ما يقتضي العصمة الدائمة؛ لأن الظالم إذا تاب من ظلمه جاز له أن ينال عهد الله؛ لأن التوبة تمحو ما قبلها.

ج- إنَّ هذا الاستدلال مـن قبيـل الاسـتدلال المقلـوب الـذي يفـترض صحة النتيجة ثم يبحث لها عن مـبررات، فهـم قـد افترضـوا تعيين أئمـتهم

بالاسم والشخص فيكونوا قد نالوا عهد الله، وبالتالي برئوا من الظلم طوال حياتهم.

د- أنهم افترضوا العصمة لأئمتهم ولو قبل توليتهم أئمة ولو كانوا في سن الطفولة ولم يبلغوا سن التكليف، بل ولمن لم يوجد بعد، في حين أن نفي الظلم لا يكون إلا لمن بلغ سن التكليف ولم يثبت عليه ظلم بالفعل.

٢- **الآية الثانية:** يقول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية عنها: إنَّ التطهر ونفي الرجس عن آل البيت يعني العصمة.

وهو قول واضح البطلان والفساد لعدة أسباب:

أ- أن التطهير ونفي الرجس في دلالتها اللغوية والقرآنية لا يعني العصمة بأي حال، وإنما يعني عدم الوقوع في الآثام والفواحش، ولو كان غير معصوم أصلاً وذلك واقع للكثير بفضل الله ورحمته.

ب- أن آل البيت هم أزواج النبي جميعًا وآل العباس وآل جعفر وآل عقيل وآل عليٍّ، فما هو وجه التخصيص بأئمتهم دون غيرهم من آل البيت، بل من آل بيت عليٍّ؟!

ج- أن سياق الآيات وصريح ألفاظها وعباراتها يقطع بأن هذه الآية وما قبلها بعدة آيات نزلت في أزواج النبي ﷺ خاصة، ولكن لما كان التطهير ونفي الرجس من قبيل الخير والفضل من الله كان من المناسب أن يعم آل بيت النبي ﷺ جميعًا.

د- أن التطهير ورد في آيات كثيرة للمؤمنين جميعًا وليس لآل البيت خاصة، منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن**

﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، مما يؤكد أن التطهير ونفي الرجس لا يفيد العصمة بأي حال؛ لأنه يكون أيضًا لغير المعصومين.

٣- أما الحديث المنسوب إلى ابن عباس -رضي الله عنهما؛ فهو حديث منكر وموضوع في سنده ومتنه، والكثير من الكتب المعتمدة لدى الاثني عشرية مليئة بعشرات الأحاديث المماثلة أو القريبة من حديث ابن عباس وينسبونها لأئمتهم المعصومين ويسلمون بصحتها لهذا السبب.

٤- أما الدليل العقلي الاجتهادي فقد سبق وأقمنا الدليل في المبحث الأول من هذا الفصل على أن الفكرتين الأساسيتين التي يقوم عليها القول بعصمة الأئمة لا أصل لها في شريعة الإسلام وباطلة بطلانًا مطلقًا وتصادم نصوصًا قطعية الثبوت والدلالة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة وأفعال الرسول ﷺ المتواترة، ومتى بطل الأساس، فإن فكرة عصمة الأئمة تكون باطلة كذلك ولا أصل لها في الإسلام؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل.

١- مصدر العصمة ولمن تكون

إنَّ تقرير العصمة لبشر من بني آدم لا تكون إلا لله ﷻ، فهو الذي يمنح العصمة لمن يشاء من عباده ويستحيل أن تكون باجتهاد بشري لشخص آخر مهما علا شأنه، كما لا يجوز أن تتقرر بنص مبهم أو غامض

يكون محلاً للمناقشة والتشكيك والتردد، بل يجب أن يكون تقريرها بنص قطعي صريح وجازم منعًا لأي لبس أو تشكيك.

والعصمة في الإسلام بنصوص قطعية صريحة وعديدة لا تكون إلا لنبي ورسول، يحدده الله ﷻ بنص صريح، وأيضًا فإن العصمة إلى جانب أنها عصمة من الذنوب والآثام، كبيرها وصغيرها، فإنها لا تتعلق بالأمور الدنيوية البحتة، ولكنها خاصة بكل ما كان من شئون التشريع الديني صيانة للتشريع وحماية له من التشكيك والطعن والاختلاط بغيره من أقوال وتصرفات النبي البشرية الدنيوية في غير مجال التشريع في حين أن مفهوم العصمة للأئمة أنها شاملة لأمور الدين وأمور الحياة، كما أن من المستفاد عقلاً وشرعًا أن العصمة لا تتعدد في الإسلام حتى لا تتعدد مراكز الهداية والتأثير، فيكون ذلك داعيًا للتناقض والتشتت، وحتى يظل الرسول المجتبى محمد ﷺ وحده المعصوم، وهو مركز الهداية والتأثير، وليكون عاملاً لوحدة الأمة والحيلولة دون تفرقها.

يقول الله –تعالى– في تحديد رسله وأنبيائه وأنه سبحانه هو الذي يجتبيهم ويصطفيهم من بين خلقه ويختار رسله وأنبياءه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمرن: ٣٣]، ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسماعيل إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ

عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ ومِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ومِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وإِسْرَائِيلَ ومِمَّنْ هَدَيْنَا واجْتَبَيْنَا﴾ [مريم: ٥٨].

وقال ﷻ في شأن الرسول محمد ﷺ خاصةً: ﴿وأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وكَفَى بِالله شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله﴾ [الفتح: ٢٩].

وهكذا عشرات الآيات الأخرى التي تقرر أن الله وحده هو الذي يصطفي ويجتبي رسله وأنبياءه من بين خلقه، وقد حدَّد أسماء بعضهم واتصافهم بالنبوة والرسالة بنصوص صريحة محكمة لا تحتمل لبسًا ولا تأويلاً.

كذلك بيَّن الله ﷻ في محكم كتابه بنصوص قطعية صريحة أن عصمة الرسول أو النبي إلى جانب عصمته من الوقوع في الآثام صغيرها وكبيرها، مقيدة بما يوحي به الله ﷻ إليه من شئون التشريع، وأنه بشر كسائر البشر فيما عدا هذا النطاق؛ لأن الهدف من العصمة ليس هو تميز الشخص ذاته عن غيره من ذوات البشر كما يعتقد الشيعة في أئمتهم، ولكن الغرض منها صيانة الوحي وما ينزل به من تشريع وباعث على تصديق الرسول أو النبي، واليقين بأنه لا يكذب على ربه فيما هو تشريع ديني، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ومَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إلا وحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

فالتمييز الوحيد للنبي ﷺ محل العصمة هو الوحي التشريعي، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧].

فالعصمة هنا هي عصمة من الذنوب ومن الخطأ في تبليغ ما أنزل إليه من ربه ﷻ، والعصمة بعد وفاة الرسول ﷺ لا تكون لبشر آخر، وإنما تكون فقط للنص الإلهي الموحى به من الله ﷻ وهو القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة، فهما وحدهما بنصهما محل العصمة، وأقوال البشر - استنباطًا منهما- إنما هي اجتهادات تخطئ وتصيب، فلا عصمة لبشر أيًا كان شأنه بعد انقطاع الوحي، يقول الله -تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ويقول ﷺ: «إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»[1].

ووجوب طاعة النبي ﷺ هي طاعة تقررت بإذن الله، وفيما يوحي به الله من شرع ديني وليست لكل أفعال الرسول الدنيوية فيما ليست بشرع ولا نقلاً لوحي، وفي ذلك يقول الله -تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، و﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وذلك لأن الرسول معصوم أن يبلغ للناس ما لم يأمر به الله.

---

(١) سبق تخريجه.

وقد طبَّق الرسول الكريم محمد ﷺ هذا الحكم القرآني المحكم في سائر أقواله وأفعاله، يقول الرسول ﷺ: «**إني فيما لم يوحى إليَّ كأحدكم**»[١].

وقد أكَّد الرسول محمد ﷺ هذا المعنى بقوله: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[٢]، كما تأكد في قوله ﷺ عندما نصح بعدم تأبير النخل وقال: «**ما أظن ذلك يغني شيئًا**»، فامتنع الناس عن التأبير، فتلف إنتاج الثمر، ولما أنهوا إليه هذه النتيجة قال: «**إنما ظننت ظنًّا**»، أي: من عند نفسي دون وحي من السماء، ثم أكَّد بشريته التي قد تخطئ وتصيب في غير أمور الشرع والدين الموحى إليه بها بقوله: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[٣].

وفي غزوة بدر نزل ﷺ على رأي الحباب بن المنذر ﷺ عندما سأله عن موقع الجيش الذي اختاره الرسول ﷺ: هل هو منزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال ﷺ: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**»، فأشار الحباب بتغيير الموقع، ونفذ الرسول ﷺ مشورته[٤].

وفي غزوة أحد نزل الرسول ﷺ على رأي غالبية أصحابه بالخروج لملاقاة قريش خارج المدينة رغم كراهيته لذلك، ورغم رأي بعض كبار الصحابة.

---

(1) أخرجه الطبراني.

(2) أخرجه مسلم في باب الفضائل، ح(٦٢٧٧).

(3) أخرجه أحمد في المسند عن علي بن أبي طالب ﷺ، ح(١٠٩٥).

(4) انظر: سيرة ابن هشام، ص(٦٢٠).

وفي غزوة الخندق نزل ﷺ على رأي سلمان الفارسي ﷺ بحفر الخندق، وشارك بنفسه في عملية الحفر.

وخلاصة ذلك كله أن الادعاء بعصمة الأئمة دون نصوص صريحة وقاطعة ومتواترة في الكتاب والسُّنة النبوية هو ادعاء باطل، ويؤكد بطلانه ما يقوله المعتدلون منهم بأن منزلة الأئمة هي منزلة الأنبياء غير أنهم لا يوحى إليهم، فمن أين تأتي العصمة؟ وما هو الدليل القطعي عليها؟ وما يقولونه من وجود آيات عديدة في القرآن الكريم تبيِّن تعيين هؤلاء الأئمة وعصمتهم، ولكن الصحابة أخفوها وغيبوها عن القرآن الكريم، فهو قول باطل ولا أصل له ولا دليل عليه، بل عكس الثابت عن صحابة رسول الله ﷺ من شدة عنايتهم الشديدة بحفظ القرآن الكريم، كما أنزل على قلب محمد ﷺ، وهو ما سنبيِّنه تفصيلاً في المبحث التالي بمشيئة الله -تعالى.

ويقول الغلاة منهم بأن منزلة الأئمة تفوق منزلة سائر الأنبياء وتماثل منزلة الرسل، وأنهم يوحى إليهم وحيًا باطنيًا، وأن الملائكة تتردد عليهم وينزلون عليهم بقرآن إضافي في ليلة القدر من كلِّ عام، بل يغلوا بعضهم ويجعل لهؤلاء الأئمة بعض صفات الله ﷻ من التحليل والتحريم وعلم ما كان وما يكون، فهو غلو بشع لا يقبله عقل ولا شرع وهو افتراء عقيم على الله ورسوله ويصل إلى حدِّ الكفر الصريح والعياذ بالله.

٢- موقف عليٍّ وبنيه من عصمة الأئمة

وفضلاً عن كل ما تقدم، فإن عليَّ بن أبي طالب ﷺ وبنيه لم يدَّع أحد منهم العصمة ولا النبوة ولا مكانة قريبة منها، بل صرَّح عليٌّ ﷺ بما

يناقضها، فقد ثبت عنه أنه قال: «لا تكفوا عن مقولة بحق أو مشورة بصدق، فإني لست في نفسي آنس أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي»، كما قال: «لا بدَّ للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويأخذ به للضعيف من القوي»، فإذا كان هو نفسه لا يأمن من الخطأ، ويرى أن الأمير قد يكون فاجرًا، ومع ذلك يعمل المؤمن في إمرته، فكيف يجرؤ غيره على إلصاق هذه الصفات بهم وهم لم يدعوها لأنفسهم، وذلك وحده دليل كافٍ ودامغ على زيف وبطلان هذه المزاعم.

٣- عصمة الأئمة تتنافى ومبدأ ختم النبوة

من الأصول الإسلامية المقررة بنصوص قطعية الثبوت والدلالة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة، وتعد من العقائد الراسخة التي لا خلاف عليها من جميع المؤمنين برسالة محمد ﷺ بما فيهم الشيعة أنفسهم، عقيدة أن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه لا نبي بعده إلى يوم الدين، وأن شريعته هي خاتمة الشرائع السماوية، وموجهة إلى الناس كافة، حتى لا يكون للناس حجة على الله بعد الرسل، وفي بيان ذلك كله يقول الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ من رِّجَالِكُمْ ولَكِن رسُولَ الله وخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً للْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، ويقول الرسول ﷺ:

«بعثت إلى كل أحمر وأسود»[١]، ويقول ﷺ: «إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[٢]، ويقول ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون بعدي خلفاء»[٣].

وعصمة أئمة الاثني عشرية بكلِّ ما أحاطوها به من أوصاف وخصائص تصل بها إلى درجة الأنبياء، بل تفوق عند الغلاة منهم درجة الأنبياء والرسل، إنما تتعارض كليًّا مع عقيدة ختم الأنبياء بمحمد ﷺ.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن عباس، ح(٢٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في المناقب.

(٣) أخرجه مسلم.

الفصل الثاني

استدلالهم على موقفهم من القرآن ومن صحابة الرسول ومن سنته ﷺ

المبحث الأول

أولاً: الاستدلال على تحريف القرآن الكريم ومدى صحته

يورد علماء الشيعة الاثني عشرية بعض آيات القرآن الكريم التي يزعمون أن بها تحريفًا يتمثل في إسقاط بعض الكلمات التي تدل على إمامة عليٍّ وبنيه ومن أهم تلك الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ إلى آخر سورة «الشرح»، وادعوا أن الصحابة -رضوان الله عليهم- أسقطوا منها عبارة «وعليًّا صهرك» بعد آية: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

٢- إنَّ سورة كاملة طويلة قد أسقطت من القرآن تسمَّى سورة (الولاية) فيها بيان لفضائل آل بيت عليٍّ، وليس فيها تحليل ولا تحريم.

٣- إنَّ آية: ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١] نزلت هكذا: ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ -عن ولاية عليٍّ والأئمة بعده- فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، وأن الصحابة أسقطوا عبارة (عن ولاية عليٍّ والأئمة بعده).

٤- إنَّ آية: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، نزلت هكذا ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ -وأن محمدًا رسولي، وأن عليًّا أمير المؤمنين- قَالُوا بَلَى﴾، وعلى هذا المنوال في سائر الآيات التي يزعمون أنها حرفت بإسقاط اسم عليٍّ أو لفظ آل محمد.

وهذه الزيادات تحمل في ذاتها دليل بطلانها، وأنها مكذوبة ودخيلة على النصوص القرآنية الصحيحة، وليست منها بأي حال؛ لأن البين لكل ذي عقل من هذه الزيادات جميعًا أنها مقحمة على الآيات بصورة تعسفية لا تتناسب مع سياق الآيات ولا موضوعها وتتنافر مع أسلوب صياغتها وفاقدة للإشعاع النوراني الإلهي للآيات الصحيحة، وبيان ذلك ما يلي:

١ - تتحدث السورة الأولى عن الثناء على رسول الله ﷺ وتعداد مناقبه من شرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره، ولا مناسبة ولا مبرر لذكر مصاهرة عليٍّ له، ولأنها لا تضيف شيئًا لقدر الرسول ﷺ، فذكرها تزيد ولغو يتنزه عنه المولى ﷻ.

وفضلاً عن ذلك، فإن الواقع التاريخي يقطع بكذب ووضع هذه الزيادة؛ لأن السورة مكية، وزواج عليٍّ بفاطمة لم يحصل إلا في المدينة المنورة بعد غزوة بدر.

٢ - أما سورة الولاية المزعومة، فيقولون: إنها تتحدث فقط عن فضائل آل البيت، وأهل السُّنة جميعًا يقرون بهذه الفضائل ويدينون بحبهم والثناء عليهم، والقرآن الكريم يقرر ذلك في محكم آياته، فما هو المبرر العقلي والمصلحي وراء إسقاطها إذا كانت صحيحة حقًّا، هذا إلى جانب أن الإقرار بفضائل آل البيت ليس فيه تخصيص لهم بالإمامة لا جميعهم ولا بعضهم.

٣ - الآية الثالثة ذات معنى عام في طاعة الله ورسوله في كلِّ ما يأمر به أو ينهى عنه، فالتخصيص بولاية عليٍّ لا تحتمله صياغة الآية، فضلاً عن

رداءة التعبير بلفظ (عن) بما لا يتفق والبلاغة القرآنية وجهالة أشخاص الأئمة من بعده، هل هم أئمة الشيعة الاثنا عشرية أو أئمة الإسماعيلية أو أئمة الفرق الأخرى وكلهم من آل عليٍّ؟!

٤- الآية الرابعة خاصة بعقيدة التوحيد والإقرار بربوبية الإله الواحد سبحانه بحيث تكون فطرية مركوزة في ضمائر البشر جميعًا بدءًا من آدم عليه السلام إلى يوم الدين، وليس من المتصور عقلاً ولا منطقًا أن يأخذ الله العهد على البشر جميعًا من لدن آدم إلى يوم الدين أن يكون محمد رسولاً وأن عليًا أمير المؤمنين، وإذا جاز ذلك -افتراضًا- بالنسبة للرسول محمد ﷺ باعتباره رسولاً إلى الناس أجمعين، فليس هناك أدنى احتمال أن يأخذ الله العهد على البشر جميعًا أن يكون علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

فهذه كلها افتراءات مختلقة وتقريرات فجة واضحة البوار والبطلان.

ثانيًا: أدلة سلامة القرآن الكريم من أي تحريف

١- صريح آيات القرآن

صرحت آيات كثيرة بأوضح بيان وبصورة قطعية الدلالة ولا تحتمل أدنى شك بحفظ الله لكتابه وصيانته من التبديل والتغيير ومن الزيادة والنقصان والتحريف، وأنه سبحانه هو الذي تولى جمعه وبيانه، وتواترت السُّنة النبوية على أن جبريل عليه السلام كان يستعرض آيات القرآن مع الرسول ﷺ في رمضان من كلِّ عام، وأنه فعل ذلك مرتين في رمضان من السنة التي توفي فيها، فهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، حتى من الشيعة أنفسهم

الذين يسلمون بصحة وسلامة جميع آيات القرآن الكريم، وبصحة أحكامه وقواعده ما عدا الآيات التي يحتمل فيها إسقاط ألفاظ الولاية عن عليٍّ والأئمة من بعده.

ونسوق بعض هذه الآيات فيما يلي:

- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

- ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

- ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

- ﴿وتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام:١١٥].

- ﴿وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ منْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

وهي آيات لا تحتاج إلى شرح ولا تعليق، والادعاء بتحريف ولو آية واحدة من القرآن الكريم بالنقص أو التحريف أو التبديل أو التغيير، إنما هو تكذيب لهذه الآيات جميعًا ولله ﷻ.

وقد تكفَّل الله بحفظ القرآن العظيم؛ لأنه كتاب الله الخاتم وحجته ومعجزته وهديه للناس جميعًا إلى يوم الدين، وبتمام نزوله انقطع وحي

السماء، فلا بدَّ أن يكون بريئًا من النقص أو التبديل أو التغيير في كلٍّ آية منه وإلا أهدرت حجيته وسرى الشك والريب في جميع آياته.

ولقد جرى التحريف والتغيير والتبديل على الكتب السماوية السابقة وهي التوراة والإنجيل؛ لأن الله ﷻ وكَّل إلى أهلها من اليهود والنصارى حفظ كتبهم، فقال تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فغيَّروا فيها وبدلوا تبعًا لأهوائهم ومصالحهم، ولم يتكفل الله بحفظها؛ لأن هذه الكتب أنزلت خاصة بأزمانها وأقوامها، ولأن القرآن سينزل بعدها بالحق المبين، مصدقًا للصحيح منها ومبينًا لما حرِّف وغيِّر، يقول ﷻ مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢- أقوال عليٍّ ﷺ وبعض أئمتهم وعلمائهم

هذه الأقوال الموثقة الصحيحة حتى عند المعتدلين من علماء وأئمة الشيعة تؤكد حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف والتبديل والتغيير.

أ- فقد أثر عن عليٍّ ﷺ قوله عن القرآن: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به أجر، ومَنْ حكم به عدل، ومَنْ دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[1].

---

(١) انظر: فضائل القرآن لابن كثير، ص(٥).

كما أثر عنه قوله: «فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه»[١].

ولم ينسب إليه ﷺ حتى في كتب الشيعة أنفسهم على كثرتها أي قول أو إشارة تفيد تحريف القرآن أو النقص فيه، كما نسبوا ذلك كذبًا وزورًا إلى بعض أئمتهم المدعى بعصمتهم.

ب- أثر عن بعض أئمتهم الأقوال الآتية حسبما جاء في كتبهم المعتمدة: فقد جاء عن موسى بن جعفر الصادق أنه سئل: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيِّه أو تقولون فيه؟ فقال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ.

وعن أبي عبد الله: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة»، وقال أيضًا: «من خالف كتاب الله وسنة نبيِّه محمد ﷺ فقد كفر».

وعن أبي جعفر قال: «إنَّ الله -تبارك وتعالى- لم يدع شيئًا تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وسنة نبيِّه ﷺ، وجعل لكلِّ شيء حدًّا، وجعل عليه دليلاً يدلُّ عليه».

ج- ثابت في العديد من كتبهم المعتمدة أن بعض علمائهم الثقات من المتقدمين وأهمهم الصدوق والمرتضى والطوسي والطبرسي صاحب كتاب «مجمع البيان» يرفضون القول بتحريف القرآن بأية صورة، وقالوا: «إن ما

(١) انظر: نهج البلاغة، ص(٢٦٥).

بـين دفتـي هـذا المصـحف هـو القـرآن لا غـير، ولم يقـع فيـه تحريـف ولا تبديل»[١].

وقد أكَّد بعض الشيعة المعاصرين وسيأتي ذكرهم نفي تحريف القـرآن الكريم زيادةً ونقصًا، ويطعـن بعـض الشـيعة أو أكثـرهم في مصـداقية هـذه الأقوال بزعم أنها من قبيل التقية مداراة لأهـل السُّـنة، وهـو طعـن متوقـع، حتى لا تكون هذه الأقوال حجة عليهم، ونحن يترجح لـدينا صـدق هـذه الأقـوال رغـم قلتهـا، أخـذًا بظـاهر حـالهم إلى أن يثبـت العكـس كـما أمرنـا الإسلام، ولأن التقية تفقـد مبررهـا في حقهـم؛ لأن هـؤلاء القلـة مـن ذوي المراكـز العلميـة المرموقـة في مـذهبهم، ويعيشـون في مجتمـع ووسـط شـيعي ودولة شيعية، فالأولى أن يداروا أغلبيـة مـذهبهم ويخشـون الضرر منهم لا من أهل السُّنة.

٣- تناقض وغرابة رواياتهم عن كيفية جمع القرآن الكامل في نظرهم

١- يزعم بعض الشيعة الاثنـي عشريـة إنْ لم يكـن أكثـرهم أن القـرآن الكامل الذي نـزل مـن الله ﷻ يفـوق القـرآن المتـداول بـين المسـلمين حاليًـا أضعافًا مضاعفة.

٢- أما عن كيفية جمع هذه الكميـة الهائلـة مـن الآيـات، فثمـة روايتـان متناقضتان كلاهما لا يصدقها عقل رشيد ولا فهم سديد.

---

(١) نقله عن نعمة الله الجزائري د. علي الصلابي في فكر الخوارج والشيعة، ص(٢٥).

أ- تقول إحدى الروايتين: إنَّ جبريل عليه السلام كان ينزل بالقرآن الإضافي على فاطمة، وليس فيه شيء من حلال أو حرام، وإنما يتعلق كله بما سينزل على ذريتها من مصائب وأهوال، وأن عليًّا كان يسمع ويكتب.

ب- وتقول الثانية: إنَّ عليَّ بن أبي طالب تولى جمعه بعد وفاة النبي بوصية منه ﷺ، وأن أي شخص آخر يدعي أنه جمع القرآن كاملاً فهو كاذب، وساق أصحاب هذه الرواية قصة عجيبة، هي أن عليَّ بن أبي طالب عندما انتهى من جمع القرآن كاملاً ذهب به إلى أبي بكر وعمر فرفضاه ولم يقبلا أخذه منه وكلفا زيد بن أرقم وآخرين بجمع القرآن فجمعوه على ما هو عليه.

٣- والأعجب من كلِّ خيال أن أحدًا لم يطلع على هذا القرآن الإضافي لفاطمة ولا القرآن الذي جمعه عليٌّ، ولا يعرف أحد أين هو، وزعموا أنه بصحبة محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر الذي اختفى وهو طفل، وقد أخذه معه حين غيابه وسيعود معه حين رجعته إلى الدنيا في آخر الزمان.

٤- وهذه الروايات كلها، والتي تصل إلى حد الخرافة، ولا يقبلها عقل، تحمل في ذاتها ولغرابتها دليل زيفها وكذبها، ولنا عدة ملاحظات:

أ- كيف يتصور دينًا وعقلاً ومنطقًا أن يتنزل جبريل عليه السلام بالوحي بعد وفاة الرسول ﷺ وعلى فاطمة ابنة الرسول ﷺ، وما هي صفتها في تلقي الوحي، فضلاً عن أنها لم تزعم ذلك لنفسها بأي حال؟!

ب- كيـف يسـكت عـليٌّ بـن أبي طالـب، وهـو المعـروف بالشـجاعة والفروسية والاستمساك بالحق على رفض ما جمعه مـن قـرآن بتكليـف مـن النبي ﷺ، كما يسكت مـن حولـه مـن صـحابة رسـول الله ﷺ الأبـرار ولا يتحركون ويدافعون عما لدى عليٍّ من قرآن جمعه بوصية مـن النبـي ﷺ ولا يعملون على نشره والإعلان عنه، بل ومتى كانت هذه الوصية ودليلها؟! ومتى وكيف قام بجمع هذا القرآن الغائب حتى الآن؟!

ج- إنَّ كلا من هاتين الروايتين تناقض الأخرى وتهدمها.

د- إنَّ عليَّ بن أبي طالب نفسه أثنـى عـلى أبي بكـر الصـديق ومبادرتـه لجمع القرآن الكريم وقال: «أعظم الناس أجرًا في المصحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع ما بين اللوحين»[1]، وهو تكذيب صريح للروايتين معًا.

٤ - عدم صحة ادعائهم بأن القرآن ليس حجة إلا بقيِّم

في العديد من الكتب المعتمدة لـدى الشـيعة الاثنـي عشريـة أن القـرآن ليس حجة إلا بقيِّم، وأن القيِّم بعد رسول الله ﷺ هـو عـلي بـن أبي طالـب، وأن الرسـول ﷺ لم يـفسر القـرآن إلا لرجـل واحـد هـو عـليٌّ، وتـرك لعـليٍّ تفسيره للناس فيكون هو الحجة على الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد انتقـل علـم القرآن منه إلى الأئمة الاثني عشر من بعده.

(١) انظر: كتاب المصاحف للسجستاني، (٥/ ١).

وهذا الزعم وأمثاله من قبيل الغلو في شخصية عليٍّ بن أبي طالب ﷺ ويتنافى مع صريح الآيات والأحاديث والأقوال الثابتة عن عليٍّ نفسه، والتي تؤكد كلها أن القرآن حجة بذاته على الناس جميعًا وهدى ورحمة للعالمين، وأن الله يسَّره للذكر والفهم لكلٍّ من يعلم العربية.

يقول الله ﷻ في محكم كتابه:

- ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهم﴾ [النحل: ٤٤]، فالبيان بصريح الآية للناس جميعًا وليس لعليٍّ وحده.

- ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وهُدًى ومَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وهنا أيضًا البيان والهدى للناس جميعًا، وبالأخص المتقين جميعًا وليس لأحد معين.

- ﴿إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

- ﴿ولَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدى وشِفَاء﴾ [فصلت: ٤٤].

- ﴿وإِنَّهُ لتنزيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

وغيرها كثير، والآيات قاطعة ومحكمة ولا تحتاج إلى تعليق.

وهذا الزعم مع تصادمه لصريح تلك الآيات، فإنه يؤدي لصد كثير من الناس عن قراءة القرآن ومحاولة تدبره وفهمه وعن العمل بها فيه طالما أنه ليس حجة إلا بقيِّم، ويحتاج إلى مفسر معين، وكلاهما غائب وغير موجود في اعتقاد الشيعة الاثني عشرية أنفسهم وهذه العقيدة الخاطئة تفسر حالهم مع القرآن الكريم بعدم الاهتمام به وقلة العناية بحفظه وتلاوته؛ لأن اهتمامهم الأساسي بأقوال أئمتهم.

* * *

المبحث الثاني

افتراؤهم على الصحابة واتهامهم بغير حق

١- بطلان أساس اتهامهم للصحابة

كلُّ ما جناه الصحابة الكرام ﷺ جميعًا من ذنوب وآثام في نظرهم أنهم بعد وفاة الرسول ﷺ اختاروا لخلافة المسلمين أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ولم يختاروا عليًّا، فاتهموهم كذبًا وبهتانًا بأنهم أخفوا عامدين وصية الرسول ﷺ بالخلافة لعليٍّ فور وفاته، كما اتهموهم بتحريف القرآن بإسقاط الآيات التي تدلُّ على إمامة عليٍّ والأئمة من بعده، وكان ذلك كافيًا في نظرهم للحكم عليهم بالكفر والردة عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ واستحقوا السب والشتم واللعن على التفصيل الذي ذكرناه سلفًا في المبحث الرابع من الباب الأول.

وقد سبق أن بيَّنا في المبحث الأول من هذا الباب بالأدلة القاطعة فساد وبطلان الادعاء بوجود وصية من النبي ﷺ بإمامة عليٍّ، وفساد وبطلان الادعاء بوجود تحريف في القرآن الكريم بالنقص أو الزيادة أو التغيير أو التبديل، فيكون الصحابة الأجلاء براء من هذه الاتهامات جميعًا؟!

غير أنه بالنسبة لأشنع وأبشع هذه التهم الكاذبة، وهي تهمة الكفر والارتداد عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، فقد لجأوا كعادتهم إلى تأويل

بعض آيات القرآن الكريم تأويلاً باطنيًّا متعسفًا وادعوا أنها تؤيدهم في هذا الافتراء.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض هذه الآيات، ثم نرد عليها لنرى مدى صحة تأويلهم لها.

٢- فساد استدلالهم بآيات القرآن الكريم

١- يستدلون بقوله تعالى: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن ماتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شيئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾** [آل عمران: ١٤٤]، وقالوا: إنَّ الذين انقلبوا على أعقابهم هم الكثرة من الصحابة الكرام، وأن الشاكرين هم القلة القليلة الذين بقوا إلى جانب عليٍّ، وهم ثلاثة رجال أو أربعة أو يزيدون قليلاً.

٢- قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾** [البقرة:٢١٧].

٣- قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ﴾** [التوبة: ٣٨].

وقد ادعى علماء ومفسرو الشيعة الاثني عشرية أن المقصود بهذه الآيات وأمثالها هم صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنهم انقلبوا على أعقابهم وارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ، وقد وقع ذلك في سقيفة بني ساعدة بتولية

أبي بكر الخلافة، ثم انشغلوا بالنزاع على الحكم وعلى الدنيا وتحاربوا وتركوا الجهاد في سبيل الله.

وهذه الأقوال كلها كذب وافتراء على الله وعلى صحابة رسول الله ﷺ لما يأتي:

أ- أن الآية الأولى نزلت في المنافقين يوم أحد حينما شج وجه النبي ﷺ وكسرت رباعيته وأشيع أنه قتل، فقال المنافقون: «قد قتل محمد فألحقوا بدينكم الأول»، وفي رواية: «فأرجعوا لدينكم الأول».

وأما عبارة ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾، فمعناها المتبادر من سياق الآية وعمومية لفظها جميع الثابتين على دينهم ولم يظهر عليهم النفاق، ولا يوجد أي دليل على أن المقصود بهم قلة قليلة معينة بالاسم، وقد ثبت عن عليٍّ ﷺ قوله: «هم الثابتون على دينهم أبو بكر وأصحابه»، وقوله حجة على الشيعة الذين يدعون أنهم أنصاره وأشياعه، وكيف يستقيم شرعًا ومنطقًا أن يكون اختيار أبي بكر بإجماع المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة ردة عن الدين وانقلاب على الأعقاب؟!

ب- أما الآية الثانية فإن أبا بكر الصديق ﷺ كان هو الذي حسم الموقف من المرتدين وأصر على قتالهم وقتال مانعي الزكاة وقال: «والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»، واستجاب له باقي الصحابة من المهاجرين والأنصار، وقاتلوا وجاهدوا في سبيل الله ضد المرتدين، فكيف يتصور ذو عقل سوي أن يكون هؤلاء الصحابة هم

المرتدون ورموز الكفر والنفاق، وكان عليٌّ ﷺ واقفًا إلى جانب أبي بكر وباقي الصحابة في قتالهم للمرتدين، وقال ﷺ في معنى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ولا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ واللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] هم أبو بكر وأصحابه.

وقد بلغ الشطط والغلو ببعض الشيعة الاثني عشرية أنهم ينتقدون أبا بكر في قتال مانعي الزكاة، ويقولون: كان الأولى عدم قتالهم، بل ويبدون التعاطف معهم.

ج- أما الآية الثالثة، فقد نزلت في غزوة تبوك وكانت في زمن عسرة وفاقة، وتضمنت عتابًا للقلة القليلة التي اثاقلت، ومنهم الثلاثة التي خلفوا بالفعل، وحثًّا لعموم المؤمنين على الجهاد وعدم التثاقل في الأرض، فليس المقصود بها عموم الصحابة -رضوان الله عليهم؛ لأنهم بادروا إلى الجهاد دون إبطاء، ولكن المقصود بها القلة التي اثاقلت ثم نهضت وشاركت وبالأخص الثلاثة الذين خلفوا بالفعل.

٣- الطعن في الصحابة يمثل طعنا في رسالة الرسول ﷺ

من المسلم به بنصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة وإجماع الأمة بما فيها الشيعة بكل طوائفها وشهادة التاريخ أن النبي محمد ﷺ أعظم الأنبياء وأعظم هادٍ ومربٍ ومصلح في تاريخ الإنسانية جميعًا.

وكان صحابته الكرام يعيشون حوله ومعه في سائر شئون حياته، وكان ﷺ قدوتهم الحسنة وإمامهم ومرشدهم في كلِّ صغيرة وكبيرة من أمور الدين والدنيا، وكان الوحي يتنزل عليه بآيات الكتاب العظيم فيتلقونها منه مباشرة ويعملون بها فورًا في كلِّ ما أمر به أو نهى عنه، واستمر هذا الحال ثلاثة وعشرين عامًا من الزمان وهي مدة الرسالة المحمدية بدءًا من نزول الوحي حتى وفاته ﷺ، ترسخت فيها أركان الإيمان وأسس الإسلام ومبادئ وأخلاق وقواعد القرآن في نفوسهم.

وقد ربَّاهم الرسول ﷺ على أسمى وأنبل الصفات الإنسانية على مدار التاريخ من الإيمان الراسخ والربانية العالية والفهم العميق والصحيح للإسلام وخشية الله وتقواه، وعلى الخلق الرفيع من التواضع والكرم والزهد والشجاعة والالتزام الكامل بأحكام الإسلام وتعاليمه، وعلى نشر الإسلام والدعوة إليه والجهاد في سبيله، وكانت حياتهم مصداقًا عمليًّا لهذه المبادئ التي غرسها فيهم ﷺ وشهد لهم بها التاريخ.

ولا يشكُّ عاقل منصف في أن اتهام هؤلاء الأبرار بالكفر والردة فور وفاة الرسول ﷺ واستحلال سبهم وشتمهم بل ولعنهم والدعاء عليهم هو تجريح وطعن في الرسالة والرسول ﷺ بالإخفاق في ترسيخ عوامل الإيمان والثبات عليه في نفوس الجيل الذي عايش الرسول ورافقه، فيكون الرسول ﷺ وما نزل عليه من وحي السماء بالقرآن والسُّنة أشد إخفاقًا في هداية

وإقناع ما يلي هذا الجيل من أجيال أخرى، وهو ما يكذبه الواقع التاريخي للصحابة، كما تكذبه آيات القرآن الكريم والسُّنة النبوية.

٤- منزلة الصحابة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية

إنَّ الله ﷻ الذي يعلم السر وأخفى وما كان ويكون إلى يوم الدين أثنى على الصحابة ووصفهم بالخيرية وبالإيمان والعمل الصالح ورضي عنهم ورضوا عنه ووعد بإدخالهم الجنة، وما كان هذا الثناء والرضا، لو علم الله كفرهم وردتهم فور وفاة الرسول ﷺ وإلا انتفت عنه صفة العلم -حاشا لله، كما حرَّم القرآن إيذاءهم بأية وسيلة كانت، وحرَّم الرسول ﷺ تكفير وسب المسلم عامة وسب وإيذاء الصحابة خاصة.

فموقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة يتعارض تمامًا مع النصوص القطعية في الكتاب والسُّنة النبوية، ونسوق بعض النصوص على سبيل المثال؛ لأنها كثيرة ومتعددة، ونكتفي بما يلي:

في الثناء على الصحابة وإعزازهم، يقول تعالى:

١- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وخيرية الأمة ثابتة للصحابة في البدء، ومن باب أولى؛ لأنهم الجيل الأول الذين ربَّاهم النبي ﷺ والذين تلقوا الوحي من النبي ﷺ فور تلقيه من جبريل عليه السلام، وقد شهد لهم الرسول ﷺ في حديث صحيح بأنهم خير أجيال الأمة قاطبةً.

٢- ويقول الله ﷻ: ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٣- ويقول الله ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رسُولُ الله والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله ورِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وجُوهِهِم منْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ومَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مغْفِرَةً وأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩].

وهذه الآيات نص إلهي قطعي صريح الدلالة وخاص بالصحابة يبين فضائلهم وثباتهم على دينهم حتى مماتهم ورضاء الله عنهم، وأن مصيرهم الخلود في الجنة بإذن ربهم، وهما حجة دامغة على الشيعة؛ لأنهم يقرون بسلامة هذه الآيات من أي تحريف، ويستحيل على هؤلاء الصحابة أن يرتدوا أو يصبحوا كافرين قبل مماتهم، وإلا كان ذلك طعنًا في صفات الله وعدم علمه بما سيكون عليه حالهم ومصيرهم.

وفي تحـريم إيـذاء الـصحابة بأيـة صـورة مـن الـصور، يقـول الله - تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقد أخبر النبي ﷺ في حديث صحيح أن إيذاء أصحابه إيذاء له وإيذاءه إيذاء لله[(١)].

ويقول الرسول ﷺ في تحريم سبِّ الصحابة وبيان فضلهم:

«لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»، فما بالك بمن يلعنهم ويتهمهم بالكفر.

وهي نصوص واضحة وقطعية الدلالة ولا تحتاج إلى شرح ولا تفسير.

٥- موقف عليٍّ وبنيه من الصحابة

الثابت تاريخيًّا أن عليَّ بن أبي طالب وبنيه قد وافقوا على خلافة أبي بكر وعمر برضاء كامل، وكانت تربطهم علاقة قوية ومخلصة بالخلفاء الثلاثة السابقين أبي بكر وعمر وعثمان، وكان صحابة رسول الله ﷺ جميعًا محل محبتهم والثناء عليهم، وكانوا يحرِّمون سبهم وتجريحهم ويتبرأون ممن يقول ذلك أو ينسب شيئًا منه إليهم، ويدلُّ على كلِّ ذلك ويؤكده عدد لا يحصى

(١) أخرجه أحمد في المسند، (٤/ ٨٧).

من الوقائع والأقوال الثابتة في كتب السُّنة الصحيحة وفي بعض الكتب المعتمدة لدى الشيعة أنفسهم، نقتطف منها على سبيل المثال ما يلي:

١ - أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ كان يتردد دائمًا على أبي بكر وهو الذي كان يقوم بالرد على الرسائل التي ترد إليه.

٢ - أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يستشير عليًّا في أهم الأمور ويثق في صواب رأيه وولاه أمور القضاء، وكان ينزل على رأيه، ومن ذلك أنه نصحه بالبقاء في المدينة وألا يغادرها لقيادة جيش المسلمين في أحد الحروب ضد الروم ثم في حرب ضد الفرس، فوافقه عمر ﷺ وعيَّن قائدًا آخر للجيش، وعندما سافر عمر إلى الشام وإلى بيت المقدس استخلف عليًّا على المدينة في كلِّ شئون الخلافة.

وقد قام عليٌّ بتزويج عمر من ابنته أم كلثوم ابنة فاطمة بنت النبي ﷺ رغم وجود زوجاته السابقات وفي سنه المتقدمة.

٣- عندما حاصر الناس عثمان ﷺ في بيته ونفد منه الماء طلب إبلاغ عليٍّ دون غيره أن يرسل إليه ماء، فأرسل إليه عليٌّ مع ابنيه الحسن والحسين ثلاث قرب من الماء، كما كلَّفهما بالدفاع عنه، فوقفا شاهري سيفهما على أحد أبواب البيت، ولم يستطع أحد الدخول منه رغم المحاولات العديدة، ورغم ما أصابهما من جراح جسيمة.

٤- لقد سمَّى علي بن أبي طالب أبناءه الذين جاءوا بعد الحسن والحسين بأسماء الخلفاء الثلاثة السابقين عليه أبو بكر وعمر وعثمان.

وأثر عنه أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ثم عمر -رضي الله عنهما»، كما قال ﷺ: «لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري»[1].

٥- روى الإمام الشوكاني وهو من علماء الشيعة الزيدية إجماع أهل بيت علي بن أبي طالب على تحريم سبِّ الصحابة وعلى حبهم والثناء عليهم، وروى ذلك عن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين أنه عندما بلغه أن قومًا بالعراق يتناولون أبا بكر وعمر بسوء، ويزعمون أنه أمرهم بذلك، قال عنهم: إنهم أعداء الله الغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أني بريء منهم وممن تبرأ من أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما»، وروى قريبًا من ذلك عن عبد الله بن الحسن بن علي، وزيد بن علي زين العابدين بن الحسين إمام الشيعة الزيدية.

وجاء في كتاب «نهج البلاغة» وهو من الكتب المعتمدة لدى الشيعة على لسان علي بن أبي طالب تصوير بليغ ورائع لصحابة رسول الله ﷺ، كما رآهم وعاينهم وعايشهم، وذلك بعبارات تفيض بحبهم وتقديرهم والثناء

(١) السابق، ص(١٤٣، ١٤٧).

عليهم[(١)]، وروى أيضًا مثل ذلك عن علي زين العابدين بن الحسين[(٢)]، وعن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وغيرهم.

٦- وليس هناك أروع ولا أبلغ من الخطبتين اللتين ألقاهما علي بن أبي طالب بعد وفاة أبي بكر وبعد استشهاد عمر، فقد شهد لهما ولجميع صحابة رسول الله ﷺ بكلِّ الفضائل والمناقب السامية، وأثنى عليهم بأبلغ وأفصح العبارات، وكلامه ﷺ حجة على الشيعة، فأين موقفهم من موقف علي وبنيه سوى موقف المخالفة والمنابذة والمعاندة لا موقف الأشياع والأنصار.

٧- ولما كان موقفهم من السُّنة النبوية مبنيًا على موقفهم الخاطئ من الصحابة -رضوان الله عليهم، وقد تأكد لنا بأدلة عديدة ومتنوعة بطلان وزيف هذا الموقف، وأنه لا أساس له في الإسلام، فيكون موقفهم من السُّنة النبوية يلحقه نفس الحكم؛ لأن ما بني على باطل كان باطلاً لبطلان أساسه.

***

---

(١) انظر: نهج البلاغة، ص(١٨٢، ١٨٩).

(٢) أبصرت الحقيقة.

الفصل الثالث

موقفنا منهم ومن عقائدهم وأفكارهم




الفصل الثالث

موقفنا منهم ومن عقائدهم وأفكارهم

أرى -والله أعلم- أن المنهج الإسلامي الصحيح يستوجب منا التفرقة بين الموقف الشرعي من عقائدهم وأفكارهم في حد ذاتها من حيث صحتها وبطلانها ومدى موافقتها أو مصادمتها للأحكام القطعية في القرآن الكريم والسُّنة النبوية، وبين الموقف منهم كجماعة إسلامية تعلن الالتزام بالأصول الأساسية وبالأحكام والمبادئ الإسلامية، رغم خطئها وشططها في أحد جوانب الإسلام.

ويستلزم ذلك أن نتناول فكرة التقريب بين مذهب أهل السُّنة ومذهب الشيعة الاثني عشرية.

وبالتالي ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الموقف الشرعي من أفكار وعقائد الشيعة.

المبحث الثاني: الموقف من الشيعة كجماعة إسلامية.

المبحث الثالث: فكرة التقريب بين مذهبي أهل السُّنة والشيعة الاثني عشرية.

المبحث الأول

الموقف الشرعي من الأفكار والعقائد الاثني عشرية

١- مجمل عقائد وأفكار الشيعة الاثني عشرية:

يتضح مما سبق بيانه في الفصلين السابقين من هذا الباب من عرض استدلالات الشيعة الاثني عشرية على ما يدعونه من آراء وأفكار ومعتقدات -مدى خطأ وبطلان هذه الاستدلالات سواء في ذلك الاستدلالات النقلية ذات التأويلات الغريبة لبعض نصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة، أو اختلاق الأحاديث الموضوعة ونسبة القليل منها إلى الرسول ﷺ، ونسبة معظمها لأئمتهم والتمسح بعصمتهم.

من كلِّ ذلك يمكن التمييز بين موقفين متضادين:

أولهما: موقف القلة القليلة المعدودة منهم، وتتخلص آراؤهم في رفض الزعم بتحريف القرآن الكريم بكلِّ صوره وتوقير صحابة الرسول ﷺ وعدم تكفيرهم، وأن أئمتهم المعصومين ليسوا في درجة الأنبياء، وإنما في درجة قريبة من درجة الأنبياء وأنهم لا يوحى إليهم.

وهذه هي الفكرة الأقوم والأقرب إلى أفكار وعقائد أهل السُّنة والجماعة والتي تؤكد على عدم عصمة أحد من البشر سوى الرسول ﷺ.

وثانيهما: فكرة وعقيدة الكثرة الغالبة من علماء وجمهور الشيعة الاثني عشرية، وتقوم هذه العقيدة على الزعم بتحريف القرآن الكريم في الآيات التي تتعلق بصفة خاصة بإمامة عليٍّ والأئمة من بعده، دون غيرها من جميع

آيات القرآن الأخرى، وينكرون خلافة الخلفاء الثلاثة السابقين على خلافة عليٍّ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ جميعًا، ويتهمون الصحابة -رضوان الله عليهم- بأنهم قاموا بتحريف القرآن الكريم بإسقاط الألفاظ والعبارات التي تدلُّ على خلافة عليٍّ فور وفاة الرسول ﷺ والأئمة من بعده، كما يتهمونهم بالكفر والردة عقب وفاة الرسول ﷺ باختيارهم أبا بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة خليفة للمسلمين دون عليٍّ.

وهم يتبرأون ممن يقول بأن عليًّا إله، أو بأن الله يتجسد في شخص الإمام القائم، ويقولون: إنهم ليسوا منهم، ولكنهم يسكتون عما دون ذلك من الغلو في صفات وخصائص الأئمة التي يصل لدى بعض الغلاة إلى إثبات بعض صفات الألوهية لهؤلاء الأئمة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، مثل إعطائهم حق التحليل والتحريم والعلم المحيط بأسرار الشريعة وعلم ما كان وما يكون أو منحهم منزلة الأنبياء والرسل، بل أرفع وأعلى، والادعاء بأنهم يوحى إليهم وحيًا باطنيًّا.

٢ -موقف أهل السُّنة الشرعي من أفكار وعقائد الشيعة الاثني عشرية:

هو موقف الرفض الكامل والحاسم بكلِّ الوسائل العلمية والتدليلية العقلية والنصية، ويجب شرعًا على كلِّ قادر العمل على هدمها وإبطالها بكلِّ وسائل الحوار والجدال بالتي هي أحسن ولا مهادنة ولا تقريب ولا تهاون في بيان وجه الحق لكلِّ صغيرة وكبيرة منها وفق الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم، بشرط الموضوعية والحرص على توخي أدب الحوار

والرغبة المخلصة في إحقاق الحق وهداية الآخر إلى صراط الله المستقيم، دون مهاترة ولا تهويل، والبعد عن دواعي الاستفزاز بوصفهم بالأوصاف واللوازم المنفرة المنهي عنها شرعًا، مع التحلي بالتواضع وطول النفس والإقناع الهادئ وقبول النقد بارتياح ودون عصبية والاستمساك بحبل الله المتين، وإبراز محاسن ومميزات مذاهب أهل السُّنة، وأنه مذهب الجماعة المؤمنة التي أخبر الرسول ﷺ أنها لن تجتمع على ضلالة بحكم الأكثرية العظمى للمسلمين بما فيهم عليّ وبنوه، فقد كان المذهب الوحيد بعد وفاة الرسول ﷺ، ولم يبدأ مذهب الشيعة الاثني عشرية إلا بعد ظهور عبد الله ابن سبأ في أواخر خلافة عثمان؛ حيث بدأت بذرة الانحراف المذهبي فيمن يزعمون أنهم شيعة عليٍّ، بينما يتبرأ منهم عليٌّ وبنوه، ولم يتميزوا كجماعة مستقلة إلا منذ فارقوا زيد بن علي زين العابدين بن الحسين في سنة ١٢٠هـ تقريبًا.

وقد انقسم علماء أهل السُّنة في توصيف الحكم الشرعي على هذه العقائد والأفكار السائدة لدى أكثرية الشيعة الاثني عشرية إلى فريقين:

الفريق الأول: يرون أن هذه العقائد والأفكار جميعها تصل إلى درجة الكفر المخرج من الملة؛ لأنها تناقض نصوصًا عديدةً في القرآن والسُّنة النبوية قطعية الدلالة ومعلومة من الدين بالضرورة.

الفريق الآخر: وخصوصًا من العلماء المعاصرين يرون أن هذه العقائد والأفكار، وإنْ كانت تعد خطأً جسيمًا وانحرافًا خطيرًا وإثمًا مبينًا وابتداعًا

في الدين لدرجة تصل إلى الظلم والفسق، ولكنها لا تصل إلى درجة الكفر البواح المخرج من الملة للأسباب الآتية:

١ - حرَّم رسول الله ﷺ بأشد عبارات التحذير تكفير كل من يقول: «لا إله إلا الله»، وله في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، منها قوله ﷺ: **«إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه»**[١].

وأخبر ﷺ في أكثر من حديث أن من قال: «لا إله إلا الله» فقد عصم دمه وماله وحسابه على الله»، وحادثة أسامة الذي قتل كافرًا محاربًا أراد أن يتوقى القتل فنطق بالشهادة، ولكن أسامة قتله فأنكر عليه الرسول ﷺ أشد الإنكار، وقال: **«أقتلته بعد أن قالها؟!»** قال: يا رسول الله، لقد كان السيف على رأسه، قال: **«هلا شققت عن قلبه؟!»**؛ لأن لنا الظاهر والله يتولى السرائر، وهم يقولون: «لا إله إلا الله» ويرددونها دائمًا.

٢ - إنَّ المتأول معذور ولو كان بتأويل فاسد؛ لأنه يجتهد في تأويله، ويعتقد صحة تأويله، وعلينا أن نحسن الظن به، وليس لدينا دليل على أنه يوقن بفساد تأويله، وهم متأولون في اعتقاداتهم ويستدلون عليها بالآيات والأحاديث التي صحت في زعمهم.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما.

٣- إنَّ الرأي الراجح لجمهور الفقهاء هو عدم كفر الخوارج، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب ﷺ رغم أنهم يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويكفرونهم.

٤- إنَّ القرآن الذي بين أيديهم والمطبوع لديهم والذي يتعبدون بتلاوته هو نفسه المصحف الشريف الموجود لدينا ولدى كل مسلم على وجه الأرض دون أي زيادة أو نقص.

٥- إنهم يعلنون الالتزام والإيمان بكلِّ الأصول العقائدية وأركان الإسلام كما وردت في القرآن الكريم والسُّنة النبوية[١].

لكلِّ ذلك فالرأي الراجح شرعًا في نظرنا هو عدم الحكم على هذه الطائفة بالكفر البواح عدا الغلاة منهم، وإنما يجوز الحكم عليهم بما دون ذلك من أوصاف مثلهم في ذلك مثل بعض الطوائف الأخرى، وذلك من الناحية العلمية الشرعية، ولكن لا يصح إطلاق هذه الأوصاف علنًا أو في مجال الحوار والمناظرة والمؤتمرات واللقاءات؛ لأنها تدعو للاستفزاز والفرقة والتنازع، وهو ما يحرِّمه الإسلام ويهدم الرابطة العامة للمسلمين، كما سيأتي.

***

(١) في تفصيل هذه الآراء وأدلتها ومراجعها الفقهية، يراجع د. يوسف القرضاوي: «مبادئ الحوار والتقريب بين المذاهب».

المبحث الثاني
الموقف من الشيعة الاثني عشرية كجماعة إسلامية

لا يشكُّ منصف فاهم لدينه في أن الموقف هنا يختلف من نواحٍ عديدة عن الموقف العقيدي الشرعي من آراء وعقائد الشيعة الاثني عشرية الذي يلتزم بمعيار وحيد هو معيار الحق والباطل والصواب والخطأ دون السماح بأي قدر من التهاون، في حين أن الموقف هنا يتأثر بعدة عوامل أخرى هي في نظرنا:

١- الجوانب الإيمانية لدى الشيعة الاثني عشرية.

٢- الأسس والأصول العامة للرابطة الإسلامية.

٣- استئثار الله ﷻ بالمحاسبة على العقائد ومكنون الضمائر.

٤- المعايير القرآنية للتعامل مع الآخر غير المسلم.

ونتناولها تباعًا بالشرح والبيان فيما يلي:

أولاً: الجوانب الإيمانية لدى الشيعة الاثني عشرية:

١- إنهم يعلنون الالتزام بالأصول العقائدية الكبرى في الإسلام، وهي الإيمان بالله الواحد الأحد ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، وأنه خاتم الرسل والأنبياء، وبالقرآن الكريم كتابًا إلهيًّا منزلاً من الله، وإن كانوا يضيفون إليه ما نقص منه في اعتقادهم من العبارات والآيات التي تدلُّ على ولاية عليٍّ وبنيه، وفيما عدا ذلك يؤمنون بصحته وبسائر أحكامه وقواعده وبحلاله وحرامه.

٢- كما يؤمنون بحجية السُّنة النبوية من حيث الأصل، ولكنهم يطعنون في الرواة أنفسهم، فلا يأخذون إلا ما جاء عن طريق أئمتهم المعصومين والقلة من الصحابة التي كانت حول عليٍّ ﷺ.

٣- كذلك هم يؤمنون باليوم الآخر والحساب فيه، وأن مصير الناس إما إلى الجنة أو إلى النار.

٤- هم يؤمنون أيضًا بأركان الإسلام الأخرى كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الشعائر والعبادات، مع بعض الاختلاف في تفاصيل الأداء بما لا يزيد كثيرًا عن الاختلاف بين المذاهب الفقهية السنية.

ثانيًا: الأسس والأصول العامة للرابطة الإسلامية

١ - إنَّ مبدأ الوحدة الإسلامية يضم كل من يعلن الانتساب للإسلام، وهو مبدأ إلهي مقرر بنصوص عديدة معلومة للكافة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية، وشامل لكافة النواحي الإنسانية من وحدة الأصل والخلق ووحدة الشريعة ووحدة الهدف والمصير ووحدة القبلة والتوجه، ويستبعد كافة عوامل التمزق والتفرقة والتعصب للقومية أو الوطنية أو العشيرة أو اللون أو اللغة.

٢- وهذا المبدأ يفرض علينا عددًا من السياسات والوسائل التي تحقق الهدف الوحدوي في سائر مناحي حياتنا، وعدم التصعيد لأوجه الخلاف، والامتناع عن كل ما يشعل نار العداوة والبغضاء.

٣- مبدأ الأخوة الإسلامية من الخصائص الأساسية لأمة الإسلام وأهمها، وهو لا يقتصر على الجوانب الأخلاقية، بل يشمل كافة الجوانب الاجتماعية والتشريعية ومختلف الأمور الفكرية والحضارية.

وإذا كان الإسلام يسمح بالخلاف في الرأي والفكر بين الإخوة، فإنه لا يسمح مطلقًا بالاختلاف في المواقف العملية الحياتية خصوصًا في المواقف التي تستوجب الموالاة والنصرة عند مواجهة عدو مغتصب، وعلى وجه أخص إذا كان عدوًّا مشتركًا، وفي ذلك يقول الله -تعالى:

- ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إلا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

- ﴿وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإن بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلى أَمْرِ الله﴾ [الحجرات: ٩].

ففي الآية الأولى وصف الله -تعالى- عدم نصرة ومآزرة الفئة المسلمة المعتدى عليها من أعدائها الكافرين بأنه فتنة في الأرض وفساد كبير.

وفي الآية الثانية أمر الله بقتال الفئة الباغية المسلمة ووصفها بالإيمان رغم بغيها بقتال عدواني، ورغم ما أخبر به الرسول ﷺ أن قتال المسلم كفر، ثم عاد ﷻ ووصفهما معًا بالأخوة، فقال في الآية التي تليها: ﴿إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

ثالثًا: استئثار الله ﷻ بالمحاسبة على العقائد ومكنون الضمائر

يقرر الإسلام في العديد من نصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة أن الله ﷻ استأثر بالمحاسبة على الأمور العقيدية، وعلى مكنون الضمائر وما في القلوب، وأنه ﷻ الذي يعلم مصير كل إنسان، إنْ كان إلى الجنة أو إلى النار، ومن يتوب عن معاصيه ومن لا يتوب، ومن يعمل بعمل

أهل الجنة ثم يسبق عليه الكتاب آخر حياته، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها أو العكس.

وقد أمرنا الله ورسوله أن نحكم على الناس بظاهر أعمالهم وأقوالهم، ونكلهم إلى نياتهم، وندع سرائرهم يقضي فيها الله بعلمه وحكمته وهو اللطيف الخبير الذي يعلم السر وأخفى.

وهناك عشرات بل مئات الآيات والأحاديث التي تقرر هذه المعاني جميعًا، وهي معلومة بالعلم العام، وسنكتفي بإيراد بعض الآيات التي تؤكد أنه ليس لبشر ولو كان رسولاً نبيًا أن يشغل نفسه بالحكم على المعتقدات وما في الضمائر؛ لأن الله وحده الذي استأثر بهذا الحكم، ولأنه قد يتوب عليهم أو يغفر لهم أو يعذبهم حسب علمه ومشيئته سبحانه.

ومن هذه الآيات قوله سبحانه:

- ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا منَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * ولله مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ واللهُ غَفُورٌ رحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٧-١٢٩].

- ﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

- ﴿وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦].

- ﴿وإن ما نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وعَلَيْنَا الحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

رابعًا: المعايير القرآنية للتعامل مع الآخر غير المسلم

يعلِّمنا القرآن الكريم الكثير من المعايير العملية للتعامل الحياتي الدنيوي مع الآخر غير المسلم خصوصًا، وهي واجبة الامتثال عند التعامل مع المسلمين من باب أولى، وتهدف كل هذه المعايير إلى تحقيق مصالح الناس في المعاش الدنيوي، وتوفير الاستقرار والأمن النفسي للمجتمع الإسلامي، ونفي كل عوامل التنازع والاضطراب والتنافر بين المسلمين وبعضهم، وبينهم وبين غيرهم من المذاهب والأديان.

ونحاول إيجاز تلك المعايير بقدر الإمكان فيما يلي:

١ - إنَّ الاختلاف العقائدي الفكري الديني والمذهبي طبيعة بشرية ملازمة للإنسان بإرادة الله ﷻ ومشيئته ويستحيل أن يزول هذا الخلاف، فيجب التعامل معه بروية وهدوء وبدون عصبية أو انفعال باعتبارها حقيقة واقعة.

وفي ذلك يقول الله -تعالى:

- ﴿ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إلا مَن رحِمَ رَبُّكَ ولِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

- ﴿وإن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ولَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

- ﴿ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ومَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ومَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥].

- ﴿ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [الحجر: ٩٩].

- ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إن لمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

- ﴿إن نشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم منَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

وغيرها عشرات الآيات الأخرى.

٢- تنحية الخلافات العقائدية والفكرية عن مجال التعامل في الميادين الحياتية الدنيوية، وبناء استراتيجية هذا التعامل على مدى عدوانهم أو مسالمتهم، أو ظلمهم للمسلمين ومدى احترام أو نقض مواثيقهم وعهودهم، وجوهر هذه الاستراتيجية، المعاملة بالمثل، وبالعدل والإحسان حسب الظروف والأحوال دون أي تأثر بالخلاف العقائدي والمذهبي، كما شرع الإسلام الانتصار للنفس من الظالم المعتدى وشرع التعاون لرد العدوان، وبين معالم واضحة للتفرقة بين مواقف غير المسلمين المغالبين والمسالمين، وبين الظالمين والمعتدلين المقسطين، وبين من هو عدو ومن هو

الأشد عداوة، وهكذا عشرات ومئات الآيات التي تبيِّن وتحدد هذه المواقف المتباينة بدقة بالغة دون أدنى تأثير ولا تأثر بالفكر أو المذهب أو الدين أو عدم التدين أصلاً من الكافرين والمشركين، طالما أن الله ﷻ شاء لهم الحرية في اعتناق ما يريدون دون إكراههم على الإيمان.

ولا يتنافى ذلك مع التحذير الشديد من خداعهم وتآمرهم ومن اتخاذهم بطانة أو مستشارين، أو موالاتهم دون المؤمنين؛ لأنه يصب في نفس المعنى.

ويكفي هنا أن نسوق بعض الآيات على سبيل المثال لا الحصر، يقول الله -تعالى:

- ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

- ﴿وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

- ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

- ﴿وإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

- ﴿إلا الَّذِينَ عَاهَدتُّم منَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شيئًا ولَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إليهم عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

- ﴿إلا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

- ﴿والَّذِينَ إذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩].

- ﴿ولَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم من سَبِيلٍ * إنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ويَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤١-٤٢].

- ﴿ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: ٨٢].

- ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم من دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إليهم إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وأَخْرَجُوكُم من دِيَارِكُمْ وظَاهَرُوا عَلَى إخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ومَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

وهذه آيات بينات واضحة الدلالة، مفهومة العبارة، لا تحتاج إلى شرح ولا تعليق، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للكفار والمشركين وأهل الكتاب

من اليهود والنصارى، فأولى أن تطبق تلك المعايير القرآنية الإلهية على من يعلنون الالتزام بالإسلام وبأصوله وأحكامه وشريعته، حتى لو كانوا قد أخطئوا واشتطوا في أفكارهم وعقيدتهم في أحد الجوانب الإسلامية وفي بعض سلوكياتهم دون غيرها.

وهذا المنهج الرباني القرآني هو أساس ما يقوله الأصوليون من ضرورة اتباع قواعد السياسة الشرعية في ميدان المعاملات بين الناس وأمور الحياة الدنيوية، والتي تقضي بالموازنة بين المصالح والمفاسد وترتيب الأولويات بين المصالح وبعضها، واعتبار الأهم ثم الأقل الأهمية، وبين المفاسد وبعضها، والأخذ بالأقل ضررًا ومفسدةً من غيره.

ومن ثم فإنه يجب علينا شرعًا ودينًا اتباع هذا المنهج في التعامل مع الشيعة الاثني عشرية، ولا يثنينا عن ذلك ما وقعوا فيه من أخطاء فكرية وعقائدية جسيمة، لا تتفق مع محكم آيات القرآن الكريم وصحيح السُّنة النبوية.

* * *

المبحث الثالث

فكرة التقريب بين مذهبي أهل السُّنة والشيعة الاثني عشرية

يبدو جليًا مما سقناه في المبحث السابق من توفر الإيمان بالأصول العقائدية الكبرى وبأركان الإسلام وبالأكثرية العظمى من أحكامه وقواعده، وما أوردناه من أسس الرابطة الإسلامية من الوحدة والأخوة، والمنهج الرباني في التعامل بين المسلمين وغيرهم في الأمور الحياتية الدنيوية من تنحية المعيار العقائدي المذهبي، والأخذ بالأمور الواقعية العملية في هذا التعامل.

كلُّ ذلك يقطع دون أي شك بأن فكرة التقريب بين مذهب أهل السُّنة ومذهب الشيعة الاثني عشرية في الحدود التي بيَّناها سلفًا، لها سندها الشرعي المتين، بما يقطع كل شك في شرعيتها وفائدتها الدنيوية بما يحقق مصالح معتبرة كثيرة، كما يمنع في ذات الوقت مفاسد وأضرارًا وشرورًا كثيرةً، ولا يبقى لنا سوى إبداء بعض الضوابط اللازمة لإنجاح فكرة التقريب، وكي تؤدي المصالح الخيرة المرجوة منها.

ونبدأ بعرض موجز للواقع العملي الحالي لفكرة التقريب، ثم نستعرض الأسس والضوابط اللازمة لنجاح فكرة التقريب في تحقيق النتائج المرجوة منها، وننتهي بوضع تصور لوسائل التصدي للمد المذهبي الاثني عشري.

أولاً: الواقع العملي الحالي لفكرة التقريب

بدأت تلك الفكرة في أوائل القرن الماضي، أي منذ مائة عام تقريبًا، على يد بعض علماء الشيعة الاثني عشرية المشهورين باعتدالهم، وعلى رأسهم العلامة عبد المحسن شرف الدين الموسوي، ويعد من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب وتوحيد الصف وجمع الكلمة، ومن علمائهم في العصر الحديث العلامة محمد علي تسخيري ومحمد حسين فضل الله، وغيرهم.

وقد استجاب لهذه الفكرة عدد من علماء أهل السُّنة والأزهر الشريف وعلى رأسهم في القرن الماضي فضيلة الشيخ/ محمود شلتوت الذي كان شيخًا للأزهر، والإمام الشهيد/ حسن البنا، والدكتور/ مصطفى السباعي من سوريا، والشيخ موسى جار الله التركستاني، وكان شيخ مشايخ روسيا القيصرية، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا، وفي الوقت الحاضر فضيلة العلامة الدكتور/ يوسف القرضاوي رئيس اتحاد علماء المسلمين حاليًا، ومعه عدد من علماء أهل السُّنة، ومعهم العلامة محمد علي تسخيري من الشيعة وهو نائب الدكتور/ يوسف القرضاوي.

وقد تمت زيارات عديدة من علماء السُّنة لعلماء الشيعة للتباحث ومحاولة التفاهم، كما تمَّ عقد العديد من اللجان والندوات والمؤتمرات على مدى سنوات طويلة وفي بلاد متعددة كالمغرب والجزائر وسوريا والبحرين وقطر.

ولم تسفر تلك المحاولات المضنية للتقريب عن أية نتيجة، وأصبح الأمر مجرد كلام إنشائي عاطفي ومجاملات، ثم ينفض الجمع دون وصول إلى أية نتيجة عملية، وذلك لإصرار الجانب الشيعي على كلِّ معتقداتهم وأفكارهم وعلى حقهم في نشر المذهب الشيعي الاثني عشري في المجتمعات السنية.

وتبين أن لبعض علماء الشيعة من وراء فكرة التقريب أهدافًا أخرى خفية غير الأهداف المعلنة، وتخلص في التستر بها لمحاولة تقريب مذهب أهل السُّنة من مذهب الشيعة وليس العكس، ولإفساح المجال أمامهم لنشر مذهبهم في مجتمعات أهل السُّنة، واتخاذها وسيلة للهجوم على كل من يحاول كشف حقيقة عقائدهم وبيان بطلانها واتهامه بالتعصب، وزرع بذور التفرقة وإشعال الفتنة ومحاربة الوحدة الإسلامية.

وهذه النتيجة متوقعة وغير مستبعدة طالما أن المراد بالتقريب أن يتم في المسائل الاعتقادية؛ لأن التقريب فيها عسير المنال ويحتاج إلى جهود مضنية متضافرة، وفي مجالات علمية وتربوية وإرشادية متعددة وإلى أزمان متطاولة، وذلك نابع من فطرة الطبيعة البشرية التي تعض بالنواجذ على معتقداتها، ولو كانت واضحة الخسران والبوار، وهو ما أرشد إليه القرآن الكريم في العديد من آياته منها بعض الآيات التي ذكرناها سلفًا أخذًا بمنطق ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢].

هذا بالإضافة إلى المصالح والمنافع الهائلة التي يتمتع بها علماء المذهب الشيعي من الوجاهة العلمية والسلطان الروحي والمعنوي، فضلاً عن المغريات المادية الهائلة؛ لأنهم يحكمون باسم الإمام الغائب المنتظر، والذي ما زال مختبئًا منذ أحد عشر قرنًا من الزمان، ويحصلون على جزء من أموال الشعب الشيعي نيابةً عنه أيضًا، وهو ما يعرف بنظام الأخماس.

ثانيًا: الأسس والضوابط اللازمة لنجاح فكرة التقريب

١ - تحديد الهدف من التقريب ومجالاته بكل دقة ووضوح

من عرضنا السابق لنتائج فكرة التقريب حتى الآن، ومما رأيناه في المنهج القرآني من التمييز في المواقف بين المبادئ والأفكار العقيدية والمسائل الحياتية الدنيوية في معايير التعامل بين الناس -يتضح أن التقريب بين المذاهب الاعتقادية أمر صعب التحقيق؛ إذ لا يتصور أن يتخلى أي فريق عن مذهبه ومعتقده أو عن بعضه خاصة في اللجان والمؤتمرات العامة، وإنما مجاله الاقتناع الفردي الهادئ المتدرج بعيد المدى حتى يؤتى الثمرة المطلوبة.

ومن هنا يتحتم استبعاد المسائل المذهبية والاعتقادية تمامًا من مجال التقريب والعناية بتحديد أهدافه ومجالاته بما يخدم ويحقق هدفي الوحدة الإسلامية والإخاء الإسلامي في المجالات العملية وكافة النواحي المجتمعية ذات المصالح والأهداف المشتركة لأطراف التقريب.

فالأمة كلها بجميع مذاهبها ومعتقداتها في أشد الحاجة للتلاحم والتضامن والتوحد لصد الخطر الداهم والعدو المشترك الذي تجمعت فيه

سائر القوى الصليبية والصهيونية رغم ما بينهما من خلافات عقيدية أساسية حتى إن اليهود لا يعترفون بعيسى عليه السلام نبيًّا ويعتبرونه ابن زنى، ولكنهم تجمعوا حول مصالحهم في نهب ثروات أمم الإسلام، وتعويق نهضتهم، وبث الفتن والعداوة فيما بينهم، والحيلولة دون وحدتهم، والعدوان عليهم واستلاب آدميتهم، والقضاء التام على كيان الأمة الإسلامية وهويتها إنْ استطاعوا.

كما أن الأمة الإسلامية في أشد الحاجة إلى تصفية الأجواء بين بعضها وبعض من عوامل التوتر والشقاق، ومن سوء الظن وفقدان الثقة، ومن حدة الخلافات وتصعيدها وغير ذلك من المصالح الدنيوية جميعها بعيدًا عن حساسيات الأمور المذهبية والعقائدية، خاصة في مجال استثمار الأموال بما يعود بالخير والنمو الاقتصادي على الطرفين، وفي المجالات الدولية لمؤازرة القضايا الدولية لشعوب الأمة الإسلامية، وغير ذلك من القضايا والمجالات المجتمعية والثقافية والتشريعية حتى تتحقق الوحدة الإسلامية الكاملة.

٢ - المصارحة الكاملة بالمشاكل والعقبات ووسائل حلها

لكي تؤتي فكرة التقريب أكلها وتحقق نتائجها يجب سلوك السُّبل العملية الواقعية القابلة للتنفيذ على أرض الواقع، وتحديد الوسائل العملية التدريجية لتنفيذها بالفعل، ولا يتحقق ذلك إلا إذا خلصت النيات وصحت العزائم، وأول خطوة في هذا المجال هي المصارحة الكاملة

بالحكمة والهدوء والتروي، لتحديد وإبراز كافة المشكلات والمعوقات، وتحديد السُّبل العملية لحل كل مشكلة مهما كان موجعًا وصعبًا، فليس الأمر مجرد عقد لجان وندوات ومؤتمرات وخطب كلامية رنانة للمجاملة والثناء، وقرارات نظرية تسجل على الورق ثم ينفض الجمع ولا شيء ينفذ، بل وليس ثمة نية للتنفيذ، أو الالتزام بما يقال ويدوَّن أصلاً، وذلك هو الداء العضال الذي يدمر مصالح وكيان الأمة الإسلامية حتى اشتهرنا بأمة الكلام، وبالرغم من أن الله ﷻ أمرنا مشددًا بالعمل بل وبالعمل الصالح المتقن والمنتج والذي يبلغ درجة أعلى من درجة الإتقان، وهي درجة الإحسان وذلك في آيات قرآنية وأحاديث نبوية معلومة للكافة بالعلم العام الضروري، كما حذَّرنا سبحانه من أن نقول ما لا نفعل، وأخبر بأن ذلك سلوك بغيض يصل إلى درجة أكبر المقت، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

٣ - التعاون في المتفق عليه والإعذار في المختلف فيه

هذه القاعدة ابتكرها الشيخ العلامة محمد رشيد رضا صاحب «مجلة المنار» و«تفسير المنار»، وذهبت مثلاً يتردد على ألسنة العلماء ذوي البصيرة والحكمة والاعتدال، فالناس جميعًا وبصفة خاصة الباحثون وذوو العلم يتفقون غالبًا على الأساسيات والأمور الكلية، ولكنهم يختلفون في

التفاصيل والفروع والجزئيات، كما يتفقون في الأغلب الأعم على الوسائل الواقعية والموضوعية، ويختلفون كثيرًا في المسائل النظرية التي لا ينبني عليها عمل.

والبدء والتركيز على نقاط الاتفاق يجمع القلوب، ويضيِّق شقة الخلاف، ويمنع من المبالغة والتهويل، ويسهِّل حل المشكلات الخلافية.

وإعذار الآخر في المختلف فيه مبني على حسن الظن بالآخر وتقدير ظروفه التي غالبًا ما تختلف عن ظروف غيره، ويعصم من سوء الظن الذي شدَّد الله ورسوله في النهي عنه وتحريمه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول الرسول الكريم ﷺ: «**إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث**»[١].

والإعذار في المختلف فيه يفتح باب الحوار والمناقشة في الأمور المختلف عليها، والحوار إذا ما كان جادًّا ومخلصًا في طلب الحق وبعيدًا عن التعصب يؤدي إلى تلاقي الأفكار وجلاء ما يكون غامضًا وتقريب ما كان يظن أنه بعيد المنال، أو العثور على تفسير أو حل يقبله الطرفان.

فهي قاعدة تحمل الخير الكثير، ويجب شرعًا العمل بها وتطبيقها؛ لأنها كفيلة بتقرب وجهات النظر فيما يبدو مستعصيًا على الحل.

---

(١) متفق عليه.

وسائل التصدي للمد المذهبي الشيعي

١- وسيلة وحيدة أمر بها الإسلام

على سبيل الإجمال، تنحصر تلك الوسائل في الإقناع والجدال بالتي هي أحسن عن طريق الجهود العلمية والدعوية والتربوية لعلماء أهل السُّنة، وهي الوسيلة الوحيدة التي يقرها الإسلام بنصوصه المقدسة قرآنًا وسُنةً: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

وهي وسيلة مباركة -بإذن الله- لو اتسمت بالفهم والعمق والهدوء وعدم الصخب والإعلان، وخصصت لها المؤسسات والرجال المدربون المخلصون والأموال اللازمة، ولا يتم ذلك إلا بمؤازرة الدولة وأرباب الأموال.

وفي هذا الصدد، وامتثالاً بقيم ومبادئ الإسلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة:٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، فلا بدَّ أن ننحي تمامًا ذلك الإرث التاريخي البغيض لعدد من قادة وعلماء المذهب الشيعي القدماء الذين حولوا شعب إيران بالإكراه، وبمنتهى الغلظة والقسوة من شعب كان سنيًّا كله حتى القرن الحادي عشر الميلادي إلى شعب شيعي، وسيعود شعبًا سنيًّا مرة أخرى بإذن الله ومشيئته.

٢- موقف علماء أهل السُّنة من الرد على المذهب الاثني عشري

لا شكَّ أننا نلمس فتورًا وتراخيًا في الإنتاج العلمي التأليفي لعلماء أهل السُّنة لكشف وبيان وجه الحق في عقائدهم وأفكارهم، وبيان فساد استدلالات علماء الشيعة الاثني عشرية وتأويلاتهم واستنباطهم، وأنها لا أصل لها في الإسلام، وتخالف العديد من نصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية قطعية الثبوت والدلالة، ولا يستقيم منها دليل واحد صحيح، وأن مبناها جميعًا تلك البدعة في دين الله التي ابتدعها ونشرها عبد الله بن سبأ اليهودي، بأن عليًّا وصي النبي محمد ﷺ قياسًا على ما ورد في التوراة حسب زعمه بأن لكلِّ نبيٍّ وصيًّا، وأن النبي الكريم ﷺ لم يعقب ابنًا ذكرًا فيكون أقرب الناس إليه ابن عمه وزوج ابنته فاطمة هو وصيه، ثم توسع الشيعة الاثنا عشرية في هذه الفكرة وبنوا عليها الكثير من الأفكار الخاطئة، وغالى الكثير منهم إلى حدِّ الكفر الصريح.

ولا نجد إلا النذر اليسير من هذه المؤلفات والتي قد توجد لدى بعض أهل التخصص، ولا نجد شيئًا منها متداولاً أو معروفًا لجماهير المثقفين، بل ولا المتدينين منهم، وإن كانت توجد مؤلفات عديدة شديدة التحامل عليهم وتكفيرهم بما يخرج عن حدِّ الاعتدال والإنصاف وتعميق الفرقة والخلاف.

حتى إن أغلب أئمة أهل السُّنة المعاصرين لا نجد لهم إلا أقوالاً إجمالية لا تلبي ظمأ المعرفة والإحاطة الكاملة بما لهم وما عليهم، وإنما تقتصر على

بيان الحكم الشرعي على عقائدهم ومبررات هذا الحكم باقتضاب شديد أو التنديد بهم وبعقائدهم وسلوكياتهم ووضعهم في صف أعداء الإسلام نقلاً عن بعض الفقهاء القدامى.

وفي الحقيقة، لقد كان للعلماء المعاصرين عذرهم في هذا الموقف من قبل؛ إذ كان علماء المذهب الاثني عشري، رغم نشاطهم العلمي والتدليلي الواسع بكلِّ طريق لتأييد مذهبهم حتى بالأحاديث الموضوعة كما يبدو من كتبهم المعتمدة، وذلك نتيجة ملاءتهم المالية بالأخماس التي يجمعونها من جماهير الناس لأنفسهم باعتبارهم نوابًا عن الإمام الغائب، إلا أنهم رغم ذلك، فقد كانوا في حالة سكون حركي ودعوي، وكانوا يحرصون على عدم الكشف عن آرائهم ومعتقداتهم لأحد من علماء أهل السُّنة من قبيل التقية وخشية الإنكار عليهم وإزهاق باطلهم ودحض مفترياتهم إلا أن الأمر اختلف الآن.

٣- الحركة النشيطة الآن للمذهب الاثني عشري

اختلفت الأحوال الآن جذريًّا عن ذي قبل، فمنذ انتصار ثورة رجال الدين بقيادة الخميني في إيران وطرد الشاه وتكوين نظام حكم إسلامي يتخذ من المذهب الشيعي الاثني عشري أساسًا ودستورًا له، وأصبح علماء المذهب هم الحكام المسيطرون والمتحدثون باسم الدولة وباسم المذهب معًا، فنشطت حركة الدعوة والتبشير للمذهب نشاطًا فائقًا على مستوى العالم كله، بل وفي قلب مجتمعات أهل السُّنة، وسجلت بعض النجاحات

حتى الآن، ودعمت الدولة هذا النشاط المذهبي بالمال والرجال والمؤسسات الثقافية والاجتماعية والسياسية، ولم يقف الأمر عند حدِّ الإقناع الفردي والتأليف العلمي، بل تعداه إلى الإغراء المادي والتوظيفي للمحتاجين والعاطلين.

٤- الواجب الشرعي العلمي والحركي على علماء أهل السُّنة

واجب علماء أهل السُّنة اليوم أن يشمروا عن ساعد الجد، ويبذلوا غاية الوسع في إنتاجهم العلمي وخططهم الدعوية بالمهارة والخبرة وابتكار سُبل الإقناع وتوصيل المعلومات بأيسر وأوضح ما يكون، ودراسة فنون الجدال والحوار والمناظرة بالتي هي أحسن، يقول الله -تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وأن يعملوا للوصول إلى مستوى يكافئ علماء المذهب الاثني عشري في حماستهم في الدفاع عن المذهب، وأن يجتهدوا في ابتكار الاستدلالات على صحة مذهب أهل السُّنة وعلى بطلان المذهب الشيعي، خاصة وأن مذهب أهل السُّنة قوي بذاته، فعلماء أهل السُّنة أجدر بالتفوق على علماء المذهب الشيعي لسلامة وصحة مذهبهم ومؤازرة الآيات القرآنية المحكمة وأحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة واتباعهم والتزامهم بما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

٥ - الواجب الشرعي لإقامة دولة إسلامية سنية

إنَّ الجهر بكلمة الحق وواجب إخلاص النصح يقتضي منا القول بكلِّ قوةٍ بأن علماء أهل السُّنة لن يستطيعوا الوصول إلى المستوى المطلوب، ولا

إلى التكافؤ مع علماء الشيعة الاثني عشرية في الدعوة والحركة وخدمة مذهبهم، دون معاونة ودعم ومؤازرة حكومات العالم العربي بل والإسلامي السني، ولا يتحقق ذلك إلا بأن تقوم في هذه الدول أو بعضها على الأقل دولة إسلامية بحق، تعتنق الفكرة الإسلامية السنية الوسطية المعتدلة التي تعمل على تطبيق وتنفيذ أحكام الشريعة بكل ما فيها من عدالة ومساواة ورحمة وشورى وحرية وأخلاق ربانية عالية، وتعتصم بموالاة الله ورسوله والمؤمنين؛ لأن أغلب أنظمة الحكم القائمة الآن في العالم العربي والإسلامي أنظمة علمانية تخاف من الإسلام، وتوالي اليهود والنصارى على حساب شعوبهم.

فواجب علماء أهل السُّنة القيام بجهد جاد في حشد جماهير المسلمين وخاصة المثقفين والمتدينين وراء هذا الهدف الأسمى، وهو وحده الكفيل بحل مشكلة الزحف المذهبي الشيعي الاثني عشري المدعوم بقوة دولتهم، ولا جدوى من مطالبتهم بعدم نشر مذهبهم؛ لأنه في اعتقادهم الخاطئ هو المذهب الحق، ولأن هذه المطالبة تنبئ عن العجز المزري عن مواجهة هذا الخطر.

٦ - بعض الوسائل العملية

إلى جانب ما يراه العلماء المتخصصون من وسائل علمية حديثة قادرة على الإقناع وإيضاح الأفكار وبراعة توصيل المعلومات، ومساهمة منا في

هذا الميدان، نعرض لبعض الوسائل العملية التي تساعد في الوصول إلى هذه النتيجة فيما يلي:

أ- دعم المعتدلين منهم واحتضانهم ومساعدتهم في نشر أفكارهم وإذاعتها على أوسع نطاق ممكن، والاستشهاد بأقوالهم وأفكارهم والاستدلال بها على بطلان وزيف ما يدعيه أقرانهم، وتبادل الزيارات معهم بانتظام، وعقد حلقات ضيقة معهم للتباحث وللنظر في بعض القضايا في ضوء الأدلة المعتمدة مع روح الأخوة وسعة الصدر للرأي الآخر، والبدء بالقضايا الأقل حساسية والأكثر قابلية لاجتماع الكلمة.

وأقوال هؤلاء المعتدلين أقوى حجة ضد الآخرين؛ لأنهم منهم ونشأوا على مذهبهم ثم اكتشفوا فساد هذا المذهب بعد أن تبحروا في العلم.

وهؤلاء المعتدلون المصلحون، وإن كان عددهم قليلاً سواء من المتقدمين الذين سبق أن ذكرنا أسماءهم، أو من المتأخرين المعاصرين أمثال العلامة السيد حسين الموسوي، مؤلف كتاب (كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار)، وكتاب (لله ثم التاريخ)، والعلامة أحمد الكاتب في كتابه (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)، والعلامة المقيد صاحب كتاب (تصحيح الاعتقاد)، والعلامة السيد هادي خسروا شاهي، وله دراسة تحليلية قيمة في رفض كل مذاهب الغلاة والتبرؤ منهم، وهؤلاء وغيرهم، وإن كانوا قلة إلا أنهم بلغوا من العلم منزلة رفيعة بين أقرانهم،

فأفكارهم وآراؤهم الموافقة لأهل السُّنة ذات تأثير لا يستهان به في الأوساط الشيعية.

ب- إنَّ الكتب المعتمدة لدى الشيعة المتشددين أنفسهم لا تخلو في طياتها من فلتات وإشارات مؤيدة لأهل السُّنة، كما أن كثيرًا منها تحمل كما كبيرًا من التناقضات التي يهدم بعضها بعضًا سواء في الكتاب نفسه أو في كتب أخرى لنفس المؤلف أو لغيره، والعالم النابه المدقق يستطيع استغلال تلك الفلتات والإشارات الاستثنائية، وأيضًا تلك التناقضات في الاستدلال على فساد المذهب وهز ثقة الشيعة في علمائهم وفي الغث الكثير الذي يكتبونه دون وعي بفساده وتناقضه.

ج- إنَّ كثيرًا من الكتب المعتمدة لدى الشيعة تثبت في طياتها أقوالاً لأئمتهم المعصومين تؤيد مذهب أهل السُّنة وتكذب كثيرًا من الأقوال التي ينسبونها إليهم زورًا وبهتانًا، وكتاب (نهج البلاغة) بصفة خاصة، وهو من الكتب الأساسية المعتمدة لدى الشيعة تتضمن الكثير من أقوال وخطب علي بن أبي طالب ﷺ، تنفي كل ما ينسبه الشيعة من أحاديث مكذوبة منسوبة إلى الرسول ﷺ عن طريقه وبنيه، فضلاً عن الأقوال الكاذبة المنسوبة إليهم أنفسهم على نحو ما بيَّنا بعضه سلفًا.

ويجب الاهتمام بهذه الأقوال المأثورة المؤيدة لمذهب أهل السُّنة والتي تقطع بفساد مذهب الشيعة الاثني عشرية، وجمعها وإبرازها وتصنيفها

وإحسان الاستدلال بها باعتبارها حجة عليهم وذات تأثير كبير في إقناعهم بفساد ما هم عليه.

د- إنَّ المكتبات الإسلامية العامة والخاصة في مصر تكاد تكون خالية من المراجع الهامة والكتب المعتمدة في المذهب الاثني عشري للمعتدلين وغيرهم، ويجب توفير هذه الكتب للدارسين والباحثين تذليلاً لسبل البحث العلمي الجاد والمستنير.

فهيا أهل العلم والإيمان، فهذا ميدانكم، والله يوفقكم لخدمة دينه والذود عن قرآنه وعن صحابة وسنة نبيِّه محمد ﷺ.

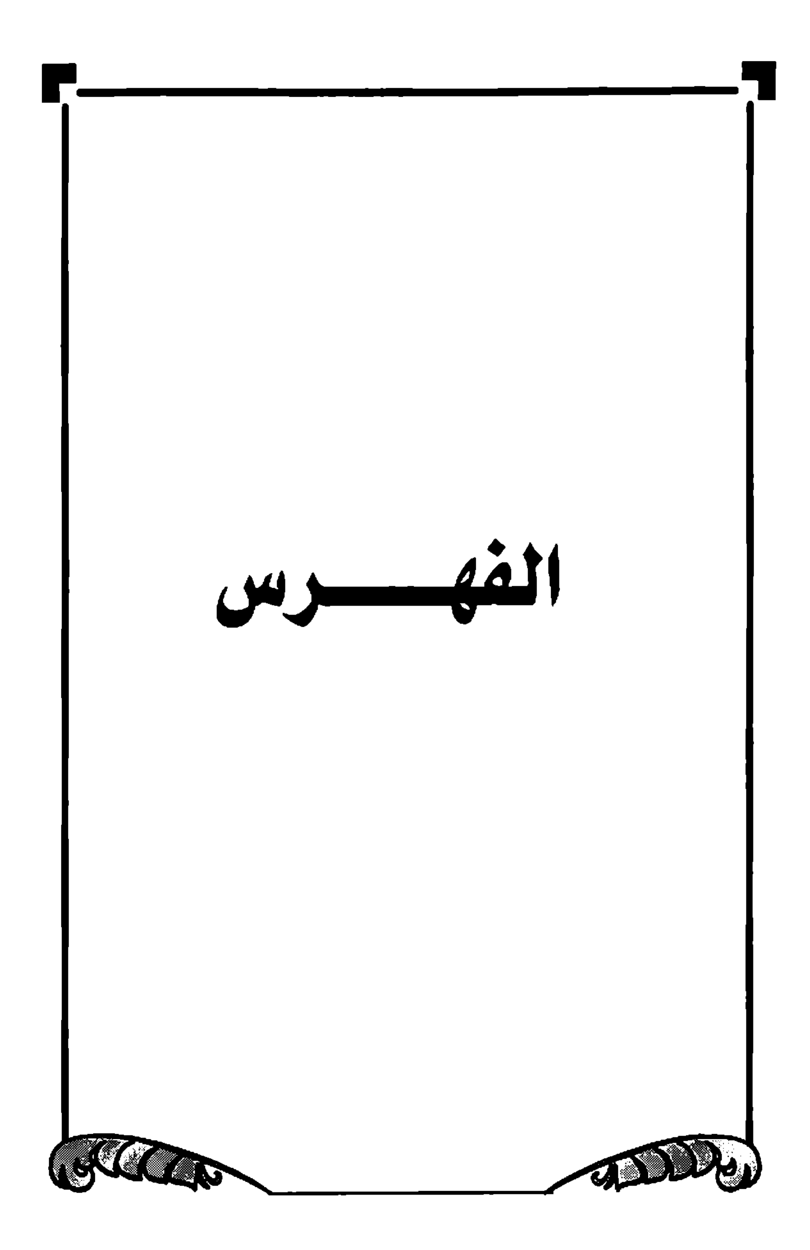
وعلى الله قصد السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المستشار

د. فتحي السيد لاشين

العجوزة في ١/٣/٢٠٠٩م

* * *



الفهـــرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
الباب الأول (فرق الشيعة وأهم أفكارها وعقائدها)	٧
المبحث الأول (نشأة الفكرة الشيعية ومراحل تطورها)	٩
المبحث الثاني (الزيدية)	١٢
المبحث الثالث (فرق المغالاة)	١٤
المبحث الرابع (الشيعة الإمامية الاثنا عشرية (الرافضة) .	١٧
المبحث الخامس (الإمامية الإسماعيلية)................	٢٦
الباب الثاني (الآراء والمعتقدات الشيعية في ميزان الشرع والعقل)	٢٩
الفصل الأول (في الإمامة وعصمة الأئمة .. أساسها وأدلتهم عليها ومدى صحتها).	٣٥
المبحث الأول (أساس الإمامة.. فكرة الوصاية)	٣٧
المبحث الثاني (عصمة الأئمة)..........................	٥٠
الفصل الثاني (استدلالهم على موقفهم من القرآن ومن صحابة الرسول ومن سنته ﷺ)	٦١

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول (الاستدلال على تحريف القرآن الكريم ومدى صحته)	٦٣
المبحث الثاني (افتراؤهم على الصحابة واتهامهم بغير حق)	٧٤
الفصل الثالث (موقفنا منهم ومن عقائدهم وأفكارهم)	٨٥
المبحث الأول (الموقف الشرعي من افكار وعقائد الشيعة) ..	٨٨
المبحث الثاني (الموقف من الشيعة الاثني عشرية كجماعة إسلامية)	٩٣
المبحث الثالث (فكرة التقريب بين مذهبي أهل السُّنة والشيعة الاثني عشرية)	١٠٢
الفهرس	١١٧

* * *

هذا الكتاب

هو إطلالة موجزة وجامعة لأهم فرق الشيعة قديمًا وحديثًا، وعرض موجز لأهم أفكارها ومعتقداتها وتطوراتها، ونقد علمي رصين من النقل والعقل لأهم هذه الفرق وأكثرها قوةً وانتشارًا وهم الشيعة الإمامية.

ومحاولة جادة لوضع معايير يمكن من خلالها التقريب بين السُّنة والشيعة دون الإخلال بثوابت عقيدة أهل السُّنة والجماعة.



شركة البصائر للبحوث والدراسات
ش.م.م
الجيزة، فيصل، الكوم الأخضر، عمارات سعودي، عمارة (2.1)، الدور الثامن، شقة (4)
تليفاكس: 02 33830408
العنوان الالكتروني: albsaer@yahoo.com